



ندوة

﴿ الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ﴾

يوم السبت ٢٠ صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ١٠ أبريل ٢٠٠٤ م

الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عليه السلام

إعداد

الدكتور / عبد التواب سيد محمد إبراهيم

مدرس الفقه المقارن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر

بنات - بنى سويف

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٤٠٣٧٥١٤ - ٢٦١٠٣٠٨ - ٢٦١٠٣١١ - ٢٦١٠٣١٢ تليفاكس

Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: 4037514-2610308 - 2610311, TelFax: No. 2610312
www.SAKC.gq.nu E-mail: salehkamel@yahoo.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله العظيم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله - صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد

بعد أن أسند الله تعالى أمر قيادة الدولة اليهودية إلى نبي الله تعالى سليمان عليه السلام شرع في استكمال بناء الحضارة العظيمة التي بدأها والده نبي الله تعالى داود عليه السلام لتحقيق خلافة الله تعالى في الأرض. وكان نبي الله تعالى سليمان عليه السلام رجلاً طموحاً لدرجة كبيرة وكانت كل الأشياء حوله لا تحقق دلموحه في بناء مملكة أرضية يرضي عنها الله عز وجل، ولذلك طلب من الله تعالى ملكاً لا يصل إليه أحد من بعده، وأجابه الله تعالى - على ذلك.

ولما كانت المكتشفات العلمية لم تصل إلى درجة كافية لتحقيق طموح سليمان عليه السلام في بناء الدولة، سخر الله تعالى له بعض عناصر الكون وجعلها في خدمته وطوع أمره، فسخر له الناس الذي يعملون بكل ما أوتوا من قوة لبناء الدولة وكان هو عليه السلام المثل والقوة للعمل والجد حتي آخر لحظة في حياته.

وسخر له الحيوانات، للعمل والبناء، وسخر له الطير لخدمة هذه الدولة، وسخر له الجن ليستخدمهم سليمان فيما يعجز عنه البشر، وفيما يخفي عليهم، فلم يكن الاستشعار عن بعد قد اكتشف في وقتها لبيان ما تحت الأرض وفي داخل الجبال، فكانت الجن تقوم بمثل هذه المهمة، ثم وقع عليهم العيب الأكبر في بناء الدولة، فكانوا يقومون بعمل المحاريب، والتماثيل، والجفان الكبيرة، والقصور الضخمة. وكذلك سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام الريح ليستخدمها في عمارة الأرض وتيسير أمور الحياة للناس وبناء حضارة كبيرة تحقق طموحه في أن يفعل شيئاً في الدنيا يرضي عنه الله تعالى يوم القيامة.

وسليمان عليه السلام كغيره من الأنبياء والرسل - عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم السلام - كانت في حياته جوانب إدارية وسياسية واقتصادية وعسكرية، لأنه كان - عليه السلام - ملكاً نبياً. وسوف نري في هذا البحث أن سليمان عليه السلام بني أسطولاً بحرياً في البحر الأحمر سيطر به علي طرق القوافل التجارية.

وأهتم - عليه السلام - بالصناعة والتعدين، وقد أذاب الله - عز وجل - له النحاس ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ بَعْنَ الْقِطْرِ﴾^(١).

وكذلك كانت زيارة ملكة سبأ له، هذه الزيارة التي كان لها طابع إيماني وطابع اقتصادي.

وقد تمثل الطابع الإيماني: في دخول ملكة سبأ الدين اليهودي. أما الطابع الاقتصادي: فقد تمثل في خوفها على تجارتها حيث إن سبأ كانت تعتمد كثيراً على دخلها من تجارة العبور - الترانزيت - وخشيت ملكة سبأ أن يؤثر الأسطول البحري الذي بناه سليمان في البحر الأحمر على تجارتها. من أجل هذا أردت أن يكون هذا البحث لكي أبرز الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عليه السلام.

وهذا الموضوع لم يسبق الكتابة فيه. لذا أقترح أن تهتم الجامعات ومراكز البحوث الشرعية والاقتصادية به.

جزى الله القائمين على مركز الشيخ صالح كامل للاقتصاد الإسلامي كل خير على هذا الجهد.

وكانت خطتي لهذا الموضوع

" الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان - عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام "

على النحو التالي : فقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : الجوانب الاقتصادية في حياة سليمان عليه السلام

وينقسم إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : التعريف بنبي الله سليمان عليه السلام

الفصل الثاني : توليه الحكم وتأمينه.

الفصل الثالث : سليمان - عليه السلام - كان ملكاً نبياً.

الفصل الرابع : الجوانب الإدارية والاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عليه السلام

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : الجوانب الإدارية في حياته.

المبحث الثاني : الجوانب الاقتصادية في حياته.

وينقسم هذا المبحث إلى ستة مطالب :

المطلب الأول : السيطرة على طرق التجارة.

المطلب الثاني : ولع سليمان بالخيول والتجارة فيها.

المطلب الثالث : النشاط البحري.

المطلب الرابع : التعدين

المطلب الخامس : تسخير الجن في الصناعة.

المطلب السادس : ثراء الملك سليمان.

الباب الثاني : حكم سليمان وتعاليم أمنمئوبي الاقتصادية

ويقسم إلى فصلين :

الفصل الأول : من هو أمنمئوبي ؟

الفصل الثاني : مقارنة بين حكم سليمان وتعاليم أمنمئوبي الاقتصادية ؟

الباب الثالث : سليمان وملكة سبأ

وينقسم إلى أربعة فصول

الفصل الأول : موقع سبأ الجغرافي.

الفصل الثاني : سبأ في الكتب المقدسة والمصادر العربية والتاريخية.

الفصل الثالث : من هي ملكة سبأ ؟

الفصل الرابع : التبادل التجاري بين سليمان وملكة سبأ

ثم عقت بخاتمة وفهرست للمراجع.

والله تعالى ولي التوفيق

الباب الأول

الجواب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عليه السلام

وينقسم إلى أربعة فصول :

الفصل الأول

التعريف بنبي الله سليمان عليه السلام

هو : سليمان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناواب ابن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم. وفور ولادة سليمان عليه السلام جاء النبي ناثان^(١) وسماه " يديدا " ؛ بمعنى " محبوب يهوه "، ثم أوحى إليه بعد ذلك أن يغيره إلى " شلومون " ؛ أي رجل السلام. وفي العربية يسمي سليمان. وشلومون : مشتق من الجذر العبري شَلَمَ، المقابل للجذر العربي سَلَّمَ.

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى : - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾^(٢)، فهو رجل السلام. وقالوا^(٣) : إن كلمة شلومون يقابلها في العربية سَلَمَان، ومن هنا كان انتقاد بعض المستشرقين لاسم " سليمان " حيث إنه تصغير لاسم سلمان. والحقيقة أنهم لم يفتنوا إلى أن شلومون أصلها شلومو. وفي العبرية : يتم تصغير الاسم بوضع نون في آخره، فكلمة صبع تصغيرها صبعون، ويثر تصغيرها يثرون^(٤)، وشلومون يقابلها في العربية سليمان تصغير سلمان^(٥).

(١) ناثان : هو نبي من سبط يهوذا، عاش في أيام النبيين داود وسليمان - عليهما السلام - وكان مستشاراً لهما، ورسولاً يجمل إليهما نواحي الرب وتحذيراته، و كاتباً يؤرخ حياتهما. واسم ناثان، عبري، ومعناه : الله قد أعطي أو عطية الله (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٣) .

(٢) آية ٢٩ - الزمر .

(٣) قصص الأنبياء والتاريخ د / رشدي البدرائي ج ٥ / ١٥١ .

(٤) وهو اسم كاهن مدين وحمو موسى عليه السلام .

(٥) من إعجاز القرآن الكريم، رؤوف أبو سعدة ١٦٢/٢ .

الفصل الثاني

تولييه الحكم وتأمينه

حاول أدونيا انتزاع الملك من سليمان وانتهى الصراع بأن نودي بسليمان ملكاً و أجلسه داود علي العرش في أنريات أيامه. وفور توليه الحكم عفا سليمان عن أخيه أدونيا ولكنه حدد إقامته في بيته في أورشليم وبشرط أم لا يتدخل في الأمور السياسية.

ثم جاء أدونيا إلى بثشبع - والدّة سليمان - وطلب منها أن تتوسط لدي سليمان حتي يسمح له بالزواج من " أبيشج " وكانت إحدى سراري والدهما داود. وكانت العادة في ذلك الوقت أن الملك الجديد يرث " حريم "الملك السابق أي جواريه وسراريه حتي لو كان والده.

ومن هنا اعتبر سليمان هذا الطلب من أدونيا إصرار منه علي اعتبار نفسه الوريث الشرعي للمملكة باعتبار أنه هو الابن الأكبر لداود. ولعل سليمان رأي أن أدونيا - مادامت له هذه التطلعات - لن يؤمن جانبه ولن يؤمن مكره في المستقبل. وخاصة أن أبياثار الكاهن ويوآب قائد جيش داود كانا يؤيدانه في هذا الطلب. ومن ثمّ اشتم سليمان مؤامرة تحاك ضده في الخفاء فرأي أن يجتثها من جذورها. فأمر بنياهو - قائد جنده - فضرب عنق أدونيا. وعزل أبياثار الكاهن من وظيفته وحدد إقامته في قرية عناثوث مسقط رأسه وهي حالياً " عناتا " علي بعد ٤ كم شمال شرق أورشليم. (شكل ١). وقال له سليمان : لأنك مستوجب القتل ولست أقتلك لأنك حملت تابوت الرب أمام داود أبي.

ولما سمع يوآب ما حدث لأدونيا و أبياثار خاف وهرب إلى خيمة الاجتماع بجانب المذبح وتمسك بقرون المذبح فأرسل سليمان قائد جيشه بنياهو ليخرجه من الخيمة ويقتله فأبي يوآب أن يخرج وقال له إن كنت تقتلني فاقتلني هاهنا معتقداً أن وجوده بجانب المذبح يعصم دمه. فعاد بنياهو إلى سليمان و أخبره بما قاله يوآب. فقال له سليمان : افعل كما تكلم. وابطش به وادفنه. ففعل بنياهو كما أمره سليمان وقتل يوآب.

وهكذا تخلص سليمان من كل من نازعوه الملك : أدونيا ويوآب و أبياثار وعين سليمان " صادوق " كاهناً أكبر بدلاً من أبياثار. كما عين بنياهو قائداً للجيش مكان يوآب.

أما شمعي رئيس البنيامينيين. والذي كان قد انضم لأبشالوم في ثورته ثم عفا عنده داود وحدد إقامته في بيته. والتزم شمعي بتحديد الإقامة هذا طوال ما بقي من عمر داود والمفروض أن يستمر ذلك في حكم سليمان أيضاً. ولكن في السنة الأولى من حكم سليمان

هرب عبدان لشمعي إلى أخيش ملك مدينة " جت " الفلسطينية. فذهب شمعي وراءهما إلى جت وعاد بهما. و أخبر سليمان بما حدث. ولعل سليمان قد اشتبه في مؤامرة يدبرها شمعي مع أخيش ملك جت وأرسل العبدین مدعيًا فرارهما، ثم ذهب بنفسه لمقابلة أخيش بحجة إعادة العبدین. فاستدعي سليمان شمعي وذكره بالوعد الذي قطعه علي نفسه بأن لا يخرج من بيته في أورشليم و بأنه يوم يفعل ذلك سيكون عقابه الموت. ودعا سليمان رئيس الجند بنيياهو و أمره بقتل شمعي. ومن المؤكد أن أخيش علم بما حدث لشمعي و أدرك مدي حزم سليمان في معاقبة المخالفين لأوامره. ومدي عنفه في الرد علي ما قد يهدد ملكه. فأثر السلام وطوال مدة حكم سليمان لم يثر الفلسطينيون له أية متاعب.

وقد انتقد بعض الكتاب ما قام به سليمان ووصفوه بأنه " قسوة بالغة " فانتقدوا إقدامه علي قتل أخيه أدونيا ويوآب وشمعي و أبياتار الكاهن. ولكن لو تمعنا في أفعال هؤلاء لوجدنا أنها تتطبق عليها ما نصفه بلغة عصرنا بمؤامرات لقلب نظام الحكم أو التخابر مع دولة معادية وعقوبتها كلها الإعدام. وخاصة أن كلاً منهم قد سبق اشتراكه في تأمر ضد الحاكم الشرعي للبلاد وتم العفو عنه فالعود لارتكاب نفس الجرم يوجب الإعدام.

الفصل الثالث

سليمان ملك ونبي

ينظر أهل الكتاب إلى داود وسليمان علي أنهما ملكين فقط وينفون عنهما صفة النبوة الثابتة لهما بنص القرآن الكريم إذ ذكرهما الله سبحانه وتعالى ضمن أسماء الأنبياء في الآية التالية: ﴿وَهَبْنَا لَهُ^(١) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(٢)﴾. وفي المقابل فإن المفسرين الإسلاميين لا يولون جانب الملك حقه من الدراسة مع أنه لا يقل في أهميته عن جانب النبوة. والحقيقة أن أحدهما مكمل للآخر ولا يكتمل فهمنا لقصة أي من هذين النبيين الكريمين دون دراسة جانب الملك.

وقد اهتم سليمان بأمرين :

١- السياسة الداخلية : وهي ما تتعلق برفع مستوى معيشة الناس وعدم تعريضهم لمصاعب و أزمات.

٢- السياسة الخارجية : وهي علاقة الدولة - متمثلة في حاكمها- بالدول المجاورة وحكامها لنقل الحروب وما صاحبها م دماء و إتلاف للحرث والنسل. وكلما عم السلام عم الرخاء. إلا أن الحروب - في العصور القديمة - كانت في بعض الأحيان عملاً رابحاً بالنسبة لطرف قوي يستعبد جاراً ضعيفاً ويفرض عليه " جزية " يدفعها ذهباً أو فضة أو مقداراً من الحبوب يدفع كل عام. وقد يري الطرف الضعيف أن دفع الجزية أهون من القتل والتدمير إذا هو قاوم، فيستمر هذا الوضع إلى أن يقبض الله للضعيف من عناصر القوة ما يزيح به هذا الظلم الواقع عليه.

ولقد رأينا مثل هذا في تاريخ بني إسرائيل فقد كان الكنعانيون أو الفلسطينيون أو غيرهم من الشعوب المجاورة نستبعد سبباً من الأسباط لفترة يدفعون خلالها الجزية لذلك الطرف القوي حتي يقبض الله اهم قاضياً يقودهم ويمكنهم من طرد المتسلط عليهم لينعموا بالحرية لفترة ما. وتتكرر القصة في سبط آخر وهكذا. وهذا ما دفع بني إسرائيل لأن يطلبوا من

(١) أي لإبراهيم .

(٢) آية ٨٤ - الأنعام .

صموئيل النبي أن يجعل عليهم ملكاً يوحد كلمتهم ويدافع عن حدودهم. وكان أن بعث الله لهم طالوت (شاول) ملكاً ولكن القبلية كانت لا تزال متغلغلة في بني إسرائيل. وكل سبط يكاد يكون مستقلاً عن الأسباط الأخرى. وتمادي بنيامينيون في تأييد شاول - بالرغم من مساوئه - لأنه بنياميني. وتمادوا في عداوتهم لداود لأنه غير بنياميني. وحتى في عهد داود كان رؤساء الأسباط لهم دور كبير في تسيير الأمور الداخلية ولهم الكلمة العليا في مناطقهم. واتهموا داود بمحاباة يهوذا علي حساب الأسباط الأخرى. وعمل البنيامينيون علي تأجيج الصراعات الداخلية في بيت داود فأيدوا ثورة أبشالوم على أبيه داود. وثورة أدونيا على أخيه سليمان.

لذلك رأى سليمان ان استقرار ملكة يستلزم منه أن يولي النقاط التالية اهتماماً خاصاً :

- ١- دمج الأسباط، وهي تمثل اهتمامه بالجوانب الإدارية.
 - ٢- السيطرة علي طرق التجارة، وهي تمثل اهتمامه بالجوانب الاقتصادية.
 - ٣- النشاط البحري.
 - ٤- التعدين.
- وهي أمور لم توف حقها من الدراسة في المراجع الإسلامية. وحتى ما تناوله الباحثون فإنهم تطرقوا إليه من زاوية دينية ولم ينظروا إلى الجانب الاقتصادي.

الفصل الرابع

الجوانب الإدارية والاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عليه السلام

وينقسم هذا البحث إلى مبحثين :

المبحث الأول

الجوانب الإدارية دمج الأسباط

كان هذا أول ما اهتم به سليمان عليه السلام. فعمل علي تذويب الكل في كيان واحد متحد تهابه الأمم المجاورة. كانت المنطقة الواقعة جنوبي أورشليم هي منطقة سبط يهوذا و أصبح يُنظر إلى الجنوب كله علي أنه " يهوذا ". المشكلة كانت في العشرة أسباط الباقية فهي التي كانت متناثرة. من هنا لجأ سليمان - بحكمته - إلى إعادة تقسيمها إلى وحدات إدارية عددها ١٢ وحدة غير متقيد بأن تكون الوحدة الإدارية قاصرة علي سبط بعينه. بل توخى في التقسيم الجديد أن تحتوي الوحدة الإدارية علي أكثر من سبط لكي يتم تذويب الفوارق بين الأسباط. وبالطبع لم يكن ذلك أمراً سهلاً. فاستقلال الأسباط بعضهم عن بعض قد ترسخ منذ كانوا أبناء يعقوب الاثني عشر وعلي مدي تسعة قرون تقريباً (من ١٨٦٢ ق.م. حتي ٩٧٠ ق.م) فكان هدف سليمان هو إضعاف النزعة القبلية بين بني إسرائيل. وكان لكل منطقة من المناطق الجديدة " مشرف " أو " وكيل ". عليه أن يتولي جمع الضرائب بالإضافة إلى أن كل وحدة إدارية أن تلتزم بإعاشة الحكومة والقصر لمدة شهر في السنة. فكان المشرف أو الوكيل يتولي جمع المقدار المفروض عليه من الحبوب و الأغنام ويضعها في مخازن ثم يسلمها إلى العاصمة أورشليم في الوقت المحدد له. وكان سبط يهوذا معفي من هذا الأمر. ولما كان سليمان ينتمي إلى سبط يهوذا فقد نظر البعض إلى أن هذا فيه محاباة لسبط يهوذا. وهذا ولد في الوحدات الشمالية شعوراً معادياً لسبط يهوذا. ولعل السبب في إعفاء سبط يهوذا يرجع إلى أن الأرض المخصصة له كانت في مجملها أرضاً صحراوية : صحراء النقب وصحراء بئر سبع وصحراء يهوذا. كما أن إنتاج المنطقة الجبلية كان من القلة بحيث يكفي بالكاد أهلها. أما الأراضي الشمالية فهي غزيرة الأمطار وبها وديان كثيرة صالحة للزراعة فكان من الطبيعي أن تتحمل هذه الأراضي الشمالية الجزء الأكبر من النفقات الملكية والحكومية.

لا يمكننا في الوقت الحالي تحديد الحدود بين الوحدات الإدارية بدقة كما كانت أيام سليمان ولكن شكل {٣} يبين حدودها كما أمكن لعلماء التاريخ تحديدها. ويمكن الرجوع إلى شكل {٢} وهو يبين حدود الأسباط للمقارنة. وكما نرى فإن بعض الوحدات الإدارية كان يشمل مدناً كنعانية ولكن فيها جاليات كبيرة من بني إسرائيل كذلك فإن السهل الساحلي لم يكن يتبع إسرائيل فالجزء الشمالي كان يتبع الفينيقيين - يليه منطقة تابعة لإسرائيل من حيفا حتى يافا، ثم منطقة الفلسطينيين من يافا حتى حدود مصر. ومما أخذ علي سليمان أن وحدتين من هذه الوحدات. وهما الواقعتين شرقي نهر الأردن كان يرأسها اثنان من أزواج بناته. ولكن لعله رأى أن الأرض شرق الأردن بعيدة نوعاً ما عن العاصمة ويفصلها عائق مائي هو نهر الأردن مما قد يغري حاكمها بالتمرد علي الإدارة المركزية في أورشليم. وضماناً لعدم حدوث ذلك فقد ولي علي اثنتين منها زوجي ابنتيه. وعلي العموم يمكننا أن نقول : إن سليمان قد نجح إلى حد كبير في توحيد الأسباط في مملكة واحدة. إلا أن الوحدات الشمالية كانت أقرب إلى الاندماج في كيان واحد يحمل بعض الشعور المعادي ليهودا في الجنوب ولكنه لا يظهر ذلك لأن الملك من سبط يهوذا وما إن توفي سليمان عليه السلام حتي انفصلت الأسباط الشمالية مكوّنة مملكة إسرائيل الشمالية مستقلة عن مملكة يهوذا في الجنوب.

المبحث الثاني الجوانب الاقتصادية

المطلب الأول: السيطرة علي طرق التجارة

اهتم سليمان اهتماماً خاصاً ببناء القلاع والحصون ووضع بها الحاميات. وعن طريقها أصبح هو المتحكم في جميع طرق التجارة في المنطقة ويجبى الضرائب والمكوس علي البضائع التي تمر بهذه الطرق مما عاد علي المملكة بأموال جمة. فقام بتجديد الحصون التي كانت في مدن جازر ومجدو وحاصور ودان وبذلك سيطر علي تجارة المصريين والفلسطينيين المتجهة إلى دمشق والعراق. وجازر مدينة كنعانية قديمة تقع ٢٥ كم جنوب شرق يافا. وقد عجز الأفرايميون عن دلرد الكنعانيين منها وظل الكنعانيون يعيشون وسط أفرايم. وقد غزاها فرعون مصر وأحرقها وأعطاه دوطه لابنته عند زواجها من سليمان. فأعاد سليمان بناءها واسمها الحالي هو تل اجزر. وكان لجازر وضع خاص لأنها تقع علي الطريق الذي يؤدي إلى أورشليم من جهة الغرب ومن ثم فقد قوّى حاميات مدينتي بيت حورون وهما مدينتان كانتا تقعان علي حدود أفرايم وبنيامين ويفصلهما ٤ كم وعلي بعد ٢٠ كم شمال غرب أورشليم وكانتا تسميان بيت حورون العليا وبيت حورون السفلي ويقابلهما حالياً بيت عور الفوق وبيت عور التحت. والطريق بينهما ينحدر من العليا بانحدار شديد نحو السفلي وهو أحد الطرق الموصلة من الساحل إلى وسط إسرائيل. وعليه فإن مدينتي بيت حورون تعتبران خط متقدم للدفاع عن أورشليم ضد أي غزو من جهة الغرب. كما كان هذا الطريق مهماً من ناحية أخرى. فقد كانت الأخشاب اللازمة للمنشآت في أورشليم تنقل عبره. إذ تقطع الأخشاب من الغابات حول عكا ثم تنقل في البحر إلى يافا. ثم بعد ذلك عن طريق جازر - بيت حورون إلى أورشليم.

وللسيطرة علي الطرق التجارية في الجنوب قوّى حصون " بعله بئر " التي تقع ٣٠ كم جنوب بئر سبع وبني ' قلعة النقب ' علي الطريق من بئر سبع إلى خليج العقبة. كما أنشأ مدينة جديدة في صحراء أدوم هي " تمر " وهي " تامار " المذكورة في التوراة. كما اهتم سليمان علي وجه الخصوص بمدينة عصيون جابر علي الطرف الشمالي لخليج العقبة. إذ هي فضلاً عن كونها نقطة لمرور القوافل من الجزيرة العربية ومدين إلى فلسطين ومصر فهي مركز نشاطه البحري ومقر أسطوله في البحر الأحمر كما سيأتي فيما بعد. و أحكم السيطرة

علي الطريق السريع Highway شرق الأردن الممتد من عصيون جابر إلى عروعر - خشبون - ربة عمون - دمشق. وبني مدينة في الصحراء بين دمشق والعراق هي تدمر (بالميرا). وقد ثار نقاش كبير حول قول التوراة: إن سليمان هو الذي بني "تدمر"؛ إذ يري علماء التاريخ أنها مدينة قديمة جداً وهي تقع علي بعد ٢٠٠ كم شمال شرق دمشق. ولعلها كانت مجرد محطة للقوافل التي تقطع الصحراء الشاسعة بين سوريا والفرات فقام سليمان بمد نفوذه إليها ووضع بها حامية لتأمين طرق التجارة وجباية الرسوم علي البضائع المارة بها فازدهرت المدينة وصارت واحدة من أجمل مدن العالم القديم. وهي الآن عبارة عن أطلال تمتد علي مساحة ٢,٥ × ٣ كم.

ووضع بكل هذه المحطات حاميات عسكرية ومخازن للحبوب وعربات وجياداً كثيرة. وقد أثبتت الحفريات الحديثة أن عدداً لا يقل عن ٥٠ قلعة قد بنيت في عهد الملك سليمان. منها ما هو مربع أو علي هيئة دائرة تبلغ أبعادها حوالي ٤٥ × ٤٥ متراً. وكانت تبني بحوائط مزدوجة ولها بوابة يحرسها برجان. وبالقرب من القلعة بيوت كل منها مكون من أربع غرف. وغرف خدمات تشمل مخازن للحبوب وخزانات مياه تحت الأرض و إسطبل للخيل. ولاشك أن هذه البيوت كانت لإقامة عائلات الجنود الذين كانوا يقومون أيضاً بزراعة منطقة حول الحصن تكفي لإعاشتهم.

لم تكن الحصون والحاميات هي وسيلة سليمان الوحيدة للسيطرة علي الطرق التجارية بل إن علاقاته الحسنة مع الدول المجاورة من خلال مصاهراته مع ملوكها سهّلت له الأمر دون اللجوء إلى الحرب، وكمثال فإن علاقته المتميزة مع مصر من خلال زوجته المصرية مكنته من السيطرة علي طرق التجارة التي تربط مصر بالعراق وسوريا وبلاد العرب.

ولم تقتصر سيطرة سليمان علي الطرق البرية بل بسط سلطانه علي طرق التجارة في البحر الأحمر من عصيون جابر إلى الصومال واليمن وسبأ وبلاد شرق أفريقيا وبهذا أصبحت مملكة سليمان وسيطاً في كل تجارة المنطقة. وتمثل هذا بوضوح في استيراد الخيول من الجزيرة العربية والأناضول ومن مصر أيضاً. وتصنيع المركبات الحربية لحسابه في مصر. ثم يقوم هو ببيعها بخيولها إلى الحيثيين والأراميين وغيرهم. وكان يجني من وراء ذلك أموالاً طائلة.

المطلب الثاني: ولع سليمان بالخيول وتجارته فيها

أشار القرآن الكريم إلى ولع سليمان بالخيول في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ* فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ* رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَفَطِقَ مَسْحًا بِالسُّونِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(١) والصابن من الخيل الذي يرفع أحد رجليه - الأمامية أو الخلفية - ويقف عليّ مقدم حافرهما. والجياد جمع جواد للذكر والأنثى. وقالوا "الصابنات الجياد" وصفين للخيول حال وقوفها وجريها. والخيول تُمدح بالسكون في الموقف كما تمدح بالسرعة في الجري^(٢). وقالوا: إنه استعرض الخيل - وكانت كثيرة - فلم تزل تُعرض عليه حتي غربت الشمس وذهفل عن صلاة العصر. وروي عن الطبرسي عن علي كرم الله وجهه وقتادة "والسدي أن سليمان عليه السلام انشغل عن الصلاة وندم". والمشهور أنه تكفيراً عن ذنبه عقرها ووهب لحمها للفقراء صدقة منه. فقد أحب الخيل وهي من الخير حتي غربت الشمس. وشبه ذلك بتواري المرأة بحجابها. فقال: ردّوا هذه الخيل ثانية وشرع يمسح السيف بسوقها أي كسف العرقيب حتي لا تجري، وأعناقها كناية عن ذبحها. وعارض آخرون هذا التفسير إذ يجب حينئذ النص علي المسح بالسيف و إلا كان قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ﴾ (في الوضوء) يفهم منها الضرب بالعنق.

ويري ابن جرير^(٣). أن سليمان لم يكن يُعذّب حيواناً بالعرقبة ويهلك ماله بلا سبب سوي أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. إلا أن ابن كثير يستدرك ويقول: إن الذي ذهب إليه ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضباً لله بسبب أنه اشتغل بها حتي خرج وقت الصلاة. وسنري بعد قليل أنه لم يكن في شرعهم صلاة عصر كما عندنا.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ...﴾ قيل كلام كثير. قالوا: إنه خطاب موجه إلى الملائكة بطلب رد الشمس. وعارض آخرون ذلك؛ لأن الله وحده هو القادر علي رد الشمس فالخطاب موجه إلى الله سبحانه وتعالى بصيغة التعظيم. وردّ آخرون بأن طلب رد الشمس بهذه الصيغة لا يليق ببني يطلب من ربه مثل هذا الطلب. ولو رجعت الشمس بعد غروبها

(١) آية ٣١-٣٣ سورة عس .

(٢) تفسير الألوسي ١٢/ ١٩٠ وما بعدها .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ / ٣٤ .

لرأها الناس كلهم، وكان هذا الحدث قد سجّلته الأخبار المتواردة عن السلف. كما أن رجوع ضمير " توارت " إلى الخيل هو الأصح؛ لأن الخيل وهي الصافنات الجياد مذكورة بصريحها والشمس لم تذكر. وعوّذ الضمير إلى المذكور أولي من عوده إلى المقدّر. أما الذين يقولون برد الشمس لسليمان فيرون أنه كردها ليشوع أثناء المعركة مع الملوك الخمسة الذين تحالفوا ضده، ومثل ردها لنبينا ﷺ في حديث العير ويوم الخندق. جاء في الحديث الصحيح : "لم تحبس الشمس علي أحد إلا ليوثع بن نون"^(١) ومعني الحديث: لم تحبس لأحد من الأنبياء غيري إلا ليوثع ؛ وفي هذا نفي عن حبسها لسليمان. وحديث العير : "أنه لما أُسري برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير. قالوا: متي يجيء. قال يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قریش ينظرون وقد ولّى النهار ولم يجيء، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحُبست عليه الشمس"^(٢). وقيل كان بركة في الزمان. وكما يقول الصوفية : "تشر الزمان " ولكن هذا الحديث اختلفوا في صحته وقالوا موضوع.

أما يوم الخندق فقد روي عن أسماء بنت عميس "أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي عليه السلام، فلم يصل العصر حتي غربت الشمس. فقال رسول الله ﷺ: «صليت العصر يا علي؟» قال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاررد عليه الشمس». قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت علي الأرض وذلك بالصهباء في خيبر"^(٣). وهذا الحديث أيضاً في صحته خلاف. وقد وصفه كثيرون بأنه من الموضوعات وقالوا: متروك. وقالوا: حديث باطل ولا أصل له وضعيف. كما أن ما حدث يوم الخندق قد روي بطريق آخر لم يرد فيه رد الشمس. فقد روي ابن كثير^(٤). «أن النبي ﷺ شغل عن صلاة العصر بحفر الخندق حتي صلاحها بعد الغروب"^(٥) وذلك ثابت في الصحيحين.

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢٧/٥، مشكل الآثار للطحاوي ١٠/٢ .

(٢) الدر المنثور في التفسير با لمأثور، لجلال الدين السيوطي ٢٢٣/٥ سورة الإسراء، وذكره البيهقي في الدلائل ٤٠٤/٢ جماع أبواب المبعث باب: الدليل على أن النبي ﷺ عرج إلى السماء والحديث ذكره ابن دحية، نقله الصالح في السيرة الشامية ١٣٣/٣ .

(٣) مجمع الزوائد ٢٩٧/٧ إتخاف السادة المتقين للزيدي ١٩٢/٧ .

(٤) تفسيره . ج ٤ / ٣٣ .

(٥) وهو حديث حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «شغلونا عن صلاة العصر» ولم يصلها يومئذ حتي غابت الشمس، ملأ الله قبورهم ناراً أو قلوبهم ناراً أو يوقمهم ناراً، رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه أحمد . قال ابن حجر في مجمع الزوائد: لم أعرفه . وبقية رجاله ثقات . انظر: مجمع الزوائد ١٤٣/٦ كتاب المغاري والسير باب غزوة الخندق وقریطة. وانظر: البخاري مع الفتح برقم (٤١١) كتاب المغازي، غزوة الخندق وهي الأحزاب .

وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول: يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتي كادت الشمس تغرب. فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها». قال: فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلي العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلي بعدها المغرب^(١).

من هذا نري أن رد الشمس للنبي ﷺ لم يثبت. والحديث الذي يفيد أنها ردت ليوشع مشكوك في صحته وقد دأبوا يستشهدون بهما لإثبات ردها لسليمان. كما أن القول بأن " حتي توارث بالحجاب " تعني غروب الشمس فهذا ما لا دليل عليه. فإن القرآن الكريم دائماً يعبر عن غروب الشمس بلفظ غربت أو تغرب أو الغروب أو غروبها كما في الآيات التالية.

أما عن معجزة كبري يراها الناس كلهم ويراها العدو، جنوداً تحملهم الريح ويراهم يسقطون أمامه وينتظمون في صفوف للحرب ولجاء ذكر هذه المعجزة في أخبار الأولين. وأخيراً فإن القرآن الكريم قد أوضح مهمة الريح في قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾^(٢). والرخاء بضم: الراء الريح اللينة. حيث أصاب : أي حيث أراد.

ونعود إلى الخيل، تقول التوراة^(٣) وجمع سليمان مراكب وفرساناً فكان له ١٤٠٠ مركبة و ١٢,٠٠٠ فارس. فأقادهم في مدن المراكب (مدن خاصة بالمركبات والخيول وهي الحصون والحاميات التي سبق ذكرها) ومع الملك في أورشليم. وكان مخرج الخيل التي لسليمان من مصر. وكانت المركبة تسعد وتخرج من مصر بـ ٦٠٠ شاقل من الفضة والفرس بـ ١٥٠ ثم يبيعها هكذا لجميع ملوك الحيثيين وملوك آرام.

ذلك أن المصريين كانوا قد أدركوا أن سبب انتصار الهكسوس عليهم هو ما كان لديهم من عجالات حربية تجر بها الخيل. وبعد طرد الهكسوس أولوا الخيل عناية خاصة واستولدوا منها سلالات متميزة وبرعوا في صناعة المركبات الحديدية السريعة ذات العجلتين للصيد والحرب، وكانوا يستوردون لها الأخشاب المتينة اللازمة لصنع بعض أجزائها - مثل المقاعد - من سوريا وفينيقيا. وأعل مما سهل لسليمان أن يكون وسيطاً في تجارة في تجارة الخيول والمركبات هو علاقته الرطيدة بمصر عن طريق زوجته المصرية. وكان المصدر الثاني

(١) صحيح البخاري ١/١٥٤، ١٥٦، ١٩/٢، ١٤١/٥ وانظر : فتح الباري ٢/٦٨، ١٢٣، ٧/٤٦٨.

(كتاب المغازي، غزوة الخندق زهي الأحزاب برقم ٤١١١) .

(٢) آية ٣٦ - سورة ص .

(٣) ملوك أول ٢٦: ١٠ .

للخيول هو دويلة سيلسيا في جنوب آسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر المتوسط وتشتهر أيضاً بخيولها.

وأقام سليمان حظائر للخيول في جهات متعددة من مملكته : في بيت شان وحاصور ومجدو وتعنك و اورشليم وغيرها من المدن التي بها الحاميات المسيطرة علي طرق التجارة. وقد كشفت بعثات التنقيب الأمريكية في مجدو عن حظائر ترجع إلى عهد سليمان، ووجدوا بقايا من إسطبلات الخيول والتي كانت تنتظم حول فناء دائري مبلط بملاط من الحجر الجيري وحوله ممر عرضه عشرة أقدام وقد رصف بصخور خشنة ليحول دون انزلاق الخيل. وخارج الممر مرابط فسيحة عرض كل منها عشرة أقدام. ووجدوا بعض معالف طعام الخيول ومعدات السقي. وخارج الحظائر توجد مساحات واسعة للمركبات. وقُدِّر أن كل إسطبل كان يحوي ٤٥٠ حصاناً ولكل حظيرة ١٥٠ عربة. فإذا افترضنا عرض المربط ١,٥ متراً لكي يتحرك فيه الحصان بحرية كان محيط الفناء الدائري ١١٥ متراً وبذلك تبلغ مساحة الإسطبل الواحد بفنائه الخارجي الذي توضع فيه المركبات - حوالي ١٣ فدناً. وهذا يثير الدهشة من اتساع هذه الإسطبلات والعناية غير العادية التي بذلت بوفرة في المباني والخدمات وهو ما يدل علي أن الخيل في عهد سليمان كانت تلقي أحسن رعاية. الأمر الذي استحق أن يُسجَّل في القرآن الكريم.

المطلب الثالث

النشاط البحري

بدأ سليمان عليه السلام بعد ذلك في الاتجاه نحو البحر الأحمر كطريق للتجارة مع الدول الواقعة علي شواطئه الجنوبية ودول أفريقيا (انظر شكل ٤). وعلي الرغم من أن مملكة إسرائيل كان لها جزء مطل علي البحر المتوسط - من حيفا إلى شمال أشدود - بين فينيقيا و إمارة عكا في الشمال والساحل الفلسطيني في الجنوب - إلا أن سليمان عليه السلام لم يفكر في أي نشاط بحري في البحر المتوسط. ولعله أراد أن يتجنب حدوث منافسة بينه وبين حيرام ملك صور قد ينتج عنها إفساد العلاقات الطيبة بينهما. كما أن سواحل البحر المتوسط لم تكن بها مناطق " بكر " تنعم بالخيرات. ولا شك أن سليمان سمع من زوجته المصرية عن الرحلات التي كانت تقوم بها سفن الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت وتعود محملة بالخير الوفير. ولصنع الأسطول اللازم كانت الأخشاب تقطع من الغابات في صور ويرسلها بحراً صديقه حيرام إلى يافا. ثم تنقل من يافا براً إلى عصيون جابر بجوار إيلة علي الطرف الشمالي لخليج العقبة. وقد كشفت بعثات التنقيب في تل الذليفة (مكان عصيون جابر) عن مسامير كبيرة من الحديد أو النحاس الممزوج بالحديد وقطع من الحبال الغليظة لضم الأخشاب وكتل من الصمغ والقار للصق الخشب وطلاء السفن. وقام رجال حيرام المتمرسين في الملاحة بتدريب فريق من بني إسرائيل علي الأعمال الملاحية.

وتقول التوراة^(١) «وعمل الملك سليمان سفناً في عصيون جابر التي بجانب إيلة علي شاطئ بحر سوف في أرض أدوم. فأرسل حيرام عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان وأتوا إلي» أوفير. «وأخذوا من هناك ذهباً». ويفهم من هذا : أن ربانة السفن كانوا من السوريين وهم الذين كنوا يقودون السفن بسبب خبرتهم بالبحار وتحت إمرتهم البحارة من بني إسرائيل. وتعود السفن بالغنائم كلها لسليمان.

وقد اختلف العلماء في تحديد مكان " أوفير " (شكل ٦) ففي عام ١٨٧١م قام " كارل ماوخ " الألماني بالتنقيب في روديسيا (زيمبابوي) ووجد منطقة كبيرة بها بقايا مبان. وبعد ١٥ عاماً عثر الباحث ستاينبرج من جنوب أفريقيا في نفس المنطقة علي منشآت تعدينية. ورجح أنها عملت لتقديد المعادن اللازمة لأورشليم والهيكل. و أثبت أن الذهب والفضة كانا

(١) ملوك أول ٩ : ٢٦ .

يستخرجان من هذه المنطقة. وفي عام ١٩١٠م قام الألماني كارل بيتر بتصوير نقوش ورسومات. هناك يري المتخصصون أن فيها ملامح فينيقية. ويرى الدكتور أولبرايت أن " أوفير " هي حالياً الصومال^(١).

وهناك آخرون يرون ان " أوفير " تقع علي الجزء الجنوبي من الساحل الغربي لجزيرة العرب^(٢). وقد ذكر الهمذاني أن باليمامة موضعاً اسمه " الحفير " وقال : إن به معدن الذهب بغزارة وهو ما ينطبق علي وصف " أوفير " إلى حد كبير. وهناك من يري أن " أوفير " معناها " الأرض الحمراء " أي الحمراء بلون الذهب و أنها ليست علماً علي بلد معين. وهو وصف ينطبق علي بلاد عدة كاليمن وشرق أفريقيا^(٣) ويرى السيد يعقوب بكر أن اليمن الحالية هي " أوفير " وكانت موطناً للذهب وكان يستخرج خالصاً نقياً لا يُعالج بالنار لتنقيته من الشوائب الغريبة ولهذا سماه الإغريق Apyron التي أخذ منها لفظ Ophir " أوفير"^(٤) وبالإضافة إلى الذهب كان أسطول سليمان يعود محملاً بالفضة والعاج والقرود والطواويس من شرق أفريقيا.

(١) الكتاب المقدس كتاريخ : وارنر كيلر . ص ٢١٢

(٢) جواد علي . ج١ . ص ٦٣٩ .

(٣) محمد بيومي مهران . دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم . ج٨ . ص ٧٨٦ .

(٤) (مونتجمري . بلاد العرب والكتاب المقدس . ص ٣٩) .

المطلب الرابع

التعدين

احتاج سليمان عليه السلام للمنشآت الكثيرة التي قام بها في أورشليم وغيرها من المدن ولأسطوله - كميات كبيرة من المعادن من نحاس وحديد لصنع المسامير ومصاريع الأبواب وتجليد أبواب المدن الكبيرة ولصنع المركبات سواء الحربية أو لنقل البضائع. لهذا كله نال التعدين عناية خاصة من سليمان عليه السلام. وكان اختيار «عصيون جابر» علي الطرف الشمالي لخليج العقبة اختياراً موفقاً. إذ هو يقع علي مقربة من أرض أدوم التي وصفتها التوراة بقولها: «أرض حجارتها حديد وفي جبالها تحفر نحاساً»^(١) ويعتقد أنها كانت مكان تل الخليفة الموجود علي بعد خمسمائة قدم من ساحل البحر غرب ميناء إيلات الإسرائيلي (شكل ٦).

وقد قامت بعثتان أمريكيتان باستكشاف المنطقة، الأولى في عام ١٩٣٧م برئاسة نلسون جلوك ووجدت البعثة أن الصخور في هذه المنطقة غنية بالحديد والنحاس. وفي كل مكان علي طول وادي العربة وجدت ممرات محفورة في الصخر هي كل ما تبقى من مناجم مهجورة. كما عثر علي قوالب طوب هي بقايا حوائط مباني هذه المدينة القديمة. وفي كل مكان في حدود المدينة أو بقربها وجدوا اللون الأخضر الذي يدخل علي أكاسيد النحاس والخبث الذي الذي يطفو علي سطح النحاس المنصهر. وقد ثبت أن هذه البقايا ترجع إلى عام ألف ق. م ؛ أي حين كان سليمان يحكم إسرائيل. وفي عام ١٩٤٠ قامت البعثة الثانية باستكشافاتها وأكدت ما وجدته البعثة الأولى وزادت بأن وجدت قوالب لصب النحاس المنصهر. كما وجدت بناء ثبت أنه كان الفرن الرئيسي لصهر النحاس. إذ وجد به صقان من الفتحات هي بلا شط فتحات تهوية ومداخن. لا تقل في إتقانها وتوزيع أماكنها عن أي تصميم حديث لأفران صهر المعادن. إذ أن مداخل الهواء والفتحات المقابلة تقع علي محور شمالي - جنوبي وهو اتجاه الريح السائدة في وادي العربة وهو ما يؤدي عمل الكير المستعمل حالياً لنفخ الهواء في أفران صهر المعادن. وهذا يدل علي براعة في اختيار هذا المكان بالذات لإقامة أفران صهر المعادن إذ هو يقع في أعالي الجبل وهو ما يهيئ الاستفادة القصوي من سرعة الرياح في إذكاء النار اللازمة للصهر. ويرى بعض الباحثين أن الفينيقيين هم الذين علموا أتباع سليمان كيفية تنقية النحاس

(١) تنية ٨:٩ .

إلى هذه الدرجة بالغة النقاوة وإن كنا نري أن هذا النحاس النقي كان هبة من الله سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ﴾^(١).

والقظر هو النحاس المذاب. وقال الألوسي: كما ألان الله الحديد لداود، كذلك أذاب النحاس لسليمان فكان النحاس النقي المذاب يخرج من العين كما يسيل الماء إذ إنه لإسالة المعادن يلزم تسخين فكانت إسالة النحاس لسليمان معجزة. وقال آخرون : إن الله أسالها له ثلاثة أيام^(٢) أو ثلاثة أيام بلياليهن^(٣). وقالوا : كان النحاس يسيل ثلاثة أيام كل شهر^(٤). وقال بعضهم : إن نسبة الإسالة إلى العين مجازية كما في قولنا " جري النهر "، أي أنهم يرون أنه كان يلزم تسخين النحاس ليصير سائلاً ولكن اللفظ القرآني يفيد غير هذا أن نسبة الإسالة إلى الله سبحانه وتعالى " وأسلمنا " تجعل الإسالة حقيقة مؤكدة. كما أن إسالة المعادن يلزم لها أن تصل إلى درجة معينة من الحرارة، فهذه أيضاً سنة من سنن الكون " ولن تجد لسنة الله تحويلاً " ومن هنا كانت كثرة التفاسير. وما نراه هو أن المنطقة الجنوبية من أرض سعيير هي منطقة جبال بركانية. ومعروف أنه قبل ثورات البراكين تسيل الحمم المنصهرة من شقوق في الأرض ويتصاعد الدخان والغازات وبخار الماء. وقد تطول هذه الفترة لعشرات السنين قبل أن ينفجر البركان وقد لا ينفجر ويخمد، وهكذا قيض الله لسليمان عليه السلام عيناً يخرج منها النحاس المنصهر سائلاً؛ وقد يري البعض أن الله قادر على إسالة النحاس دون الحاجة إلى منطقة براكين ودون الحاجة إلى سخونة الحمم. وهذا حق ولكنها سنة الله في الأسباب والمسببات ولن تجد لسنة الله تبديلاً. وبهذا تكون " عين القظر " عبارة عن فوهة بركان صغير يسيل منها النحاس السائل. وبالطبع كانت المنطقة كلها تتصاعد منها - من شقوق في الأرض - الأبخرة الساخنة وغازات الكبريت والميثان الخائفة. وما كان للبشر أن يستطيعوا العمل في مثل هذه البيئة؛ لذلك كان الجان - بطبيعتهم النارية - هم أصلح من يعمل في هذا الجو. ولذلك كان تسخير الجن من تمام المعجزة. ولقد جاء ذكر هذا التسخير في القرآن الكريم مباشرة بعد ذكر إسالة عين القظر.

﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

(١) آية ١٢ سورة سبأ .

(٢) عكرمة والسدي .

(٣) مجاهد .

(٤) (رواية أخرى عن مجاهد) .

المطلب الخامس

تسخير الجن في الصناعة

تشير الآية السابقة إلى أن الله سبحانه وتعالى سخر الجن لسليمان وقيل: " من الجن "لتبعض أي سخر الله بعضاً من الجن يعمل له بإذن ربه. ومن يحد أو يتواني عما أمره الله من اطاعة سليمان يذيقه الله من عذاب النار في الآخرة، كما قال أغلب المفسرين وقالوا : تعذيب في الدنيا أيضاً. والرد المشهور علي كيف تحرق النار الجن وهم مخلوقون من نار. هو أن الإنسان مخلوق من طين ومع ذلك يؤله أن يضرب بقالب من طين !

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾^(١)
وهكذا سخر الله اجن يعملون لسليمان ما يشاء من أثاث لازم لبيت الرب والهيكل الذي يبنيه. ومحارِب جمع محراب. وقيل: كانت أماكن العبادة في أيامهم تسمى محارِب.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٢)

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾^(٣)

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ رَهُو قَائِمٌ يَصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾^(٤)

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾^(٥)

وقيل: سُمي محراباً لأنه محل محاربة الشيطان. أما المحراب بمفهوما الحالي فهو: مقام الإمام من المسجد وهو ما أحدث في المساجد ولم يكن موجوداً من قبل وقد كره الفقهاء الوقوف في داخله لذلك نرى الأئمة دائماً يتأخرون عن المحراب ذاته و أصبح المحراب الآن في المساجد يتخذ كبيان لاتجاه القبلة.

كذلك كان الجن يعملون لسليمان ما يشاء من تماثيل. ولم تكن محظورة في شريعتهم. "وجفان " جمع جفنة وهي ما يوضع فيه الطعام. " والصحيفة " هي ما يوضع فيه طعام لشخص واحد. يليها في الكبير " المئكلة " وهي ما تشبع الاثنين أو الثلاثة. يليها " الصفحة "

(١) آية ١٣ سورة سبأ .

(٢) ١١ - سورة مريم .

(٣) ٣٧ - آل عمران .

(٤) ٣٩ - آل عمران .

(٥) ٢١ - ص .

وهي ما يشبع الخمسة ثم "القصعة" وهي ما يشبع العشرة، ثم "الجفنة". وكانت سعة جفان سليمان عليه السلام تشبه الجابية " وجفان كالجواب " والجابية هي الحوض الذي يجبي فيه الماء للإبل. قال البعض: بأنه كان يجلس إلى الواحدة ألف رجل ! ولا شك أن في هذا مبالغة كبيرة؛ إذ لو افترضنا أن كل ثلاثة أشخاص يشغلون لمجلسهم متراً لكان محيط الجفنة ٣٣٣ متراً ولكان نصف قطر الجفنة الواحدة ٥٥ متراً. ويستحيل الوصول إلى الطعام الموجود بداخلها لأبعد من متر. كما يستحيل ملؤها بالطعام إلا أن يغوص العمال بأرجلهم في الجفنة ذاتها. لذلك نري أن الجفنة الواحدة ذاتها. ما كان ليزيد نصف قطرها عن متر فيكون محيطها ٦,٣٠ متراً. وهو يكفي عشرين شخصاً ليجلسوا حولها. كذلك كان الجان يعملون قدوراً أكبر لطبخ الطعام وهذه كانت ثابتة علي المواقد والتنانير ولذا وُصفت بأنها " قدور راسيات ".

هنا قد يثور السؤال : كيف كانت هذه الأشياء التي يعملها الجان تأتي إلى الناس ؟ فالجان في الحالة التي خلقهم الله عليها لا تراهم أعين البشر، فهل كان الناس يرون النحاس يتشكل أمامهم في تماثيل وجفان وقدور بدون أن يروا من يقوم بتشكيله ؟ أي أنهم يرون النحاس أو غيره من المعادن وكأنه يتشكل من نفسه ! ما نظن أن أمراً كهذا كان يحدث إذ يكون أمراً عجباً جديراً بالذكر في كتب وروايات الأولين. وما نراه هو أن الجان لا بد و أنهم قد تشكلوا في صورة بشرية تتحمل الظروف القاسية حول عين القطر من حرارة شديدة و أبخرة خانقة. ويصنعون الجفان الكبيرة التي لا بد كانت من الثقل بحيث يعجز البشر عن حملها. وظن بنو إسرائيل أن هؤلاء العمال عبيد من الشعوب التي قهروها. تقول التوراة^(١): «جميع الشعوب الباقيين من الأموريين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. الذين ليسوا من بني إسرائيل، أبناؤهم الذين بقوا من بعدهم في الأرض، الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرّموهم جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم. و أما بنو إسرائيل فلم يجعل سليمان منهم عبيداً». وفي رأينا أن هذا هو السبب في أن التوراة لم تذكر شيئاً عن تسخير الجن لسليمان. ومما يؤيد أن هؤلاء العبيد المسخرين في أعمال التعدين كانوا في حقيقتهم من الجن أن هذه المنطقة لم يكن بها عيون ماء إطلاقاً. ولو كانوا بشرأ للزم لهم كميات هائلة من المياه للشرب. كما أن البعثات التي نقت في هذه المنطقة لم تعثر علي أي هيكل عظمي بشري مع أن المتوقع لعمال من البشر يعملون في هذه الظروف القاسية أن يتساقط منم المئات بل الآلاف أمواتاً. مع أن بعثات التنقيب قد وجدت آثاراً كثيرة مثل الجفان والقدور الفخارية التي كان

(١) ملوك أول ٩ : ٢٠ .

يصهر فيها النحاس أو التي كان يجمع فيها النحاس الذي يسيل من " عين القطر " وكثير منها تبلغ سعته ١٤ قدماً مكعباً أي ٣٧٨ لتراً وهذا يعني أن الجفنة قطرها ١,٥ - ٢ متراً. وقد سمّي الباحث نلسون منطقة عصيون جابر بأنها كانت " بتسبرج " إسرائيل القديمة !

المطلب السادس

ثراء الملك سليمان

يُضرب المثل بسليمان في ثرائه وكنوزه. وتقول التوراة^(١): " وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ٦٦٦ وزنه ذهب " ولما كانت وزنة الذهب تساوي ٣٠ مناً والمن من الذهب ١٠٠ شاقلاً والشاقل ٢٠ جيرة أي ٤٢٤ ، ١١ جراماً^(٢) فتكون وزنة الذهب تساوي ٤٣,٢٧٢ كيلو جراماً ؛ أي أن الـ ٦٦٦ وزنة الذهب تساوي ٢٣ الف كيلو جراماً من الذهب!! وتستمر التوراة قائمة : ما عدا الذهب عند التجار وولاة الأرض. وعمل الملك سليمان ٢٠٠ ترس من ذهب مطرق. خصّ الترّس الواحد ٦٠٠ شاقلاً من الذهب و ٣٠٠ مجن من ذهب مطرق خص المجن ٣ أمناء من الذهب (أي ٣٠٠ شاقلاً). والمجن هو الترّس الكبير. والترّس هو ما جري اناس علي تسميته بالدروع في حين أن الدروع غطاء واقى تلبس على الجسم ويغطي الصدر والبطن والظهر ويتألف من جزئين موصولين عند الجنب. أما الترّس فهو ما يحمله المحارب، بيده اليسري ليتقي بها الضربات، وكان يصنع من الخشب وكثيراً ما كان يغطي بجلد مغموس في الزيت حتي لا يتشقق. وكان المحارب يحمل الترّس بحزام جلدي علي ظهره فإذا جاءت المعركة نزعه ليمسكه بيده اليسري بإدخال اليد تحت سيرين من الجلد علي مؤخر الترّس وقبض الأصابع علي سير صغير عند حافته. أما المجن - وهو الترّس الكبير - فكثيراً ما كان يحمله رجل خاص يرافق المحارب^(٣). ووضع الملك التروس والدروع في قصره المسمي " بين وعر لبنان " وسمي كذلك لأنه استخدم في بناءه كميات هائلة من خشب الأز المجلوب من لبنان. وعمل الملك كرسياً عظيماً من عاج وغشاه بذهب إبريز وللكرسي ست درجات. وتستمر التوراة في وصف الكرسي فتقول : " للكرسي رأس مستدير من وراء، ويدان من هنا ومن هناك علي مكان الجلوس، وأسدان واقفان بجانب اليدين و ١٢ أسداً واقفة هناك علي الدرجات الست من هنا ومن هناك لم يعمل مثله في جميع الممالك. وجميع أنية شرب الملك، من ذهب، وجميع أنية بيت وعر لبنان من ذهب خالص لا فضة هي لم تحسب شيئاً في أيام الملك سليمان ؛ لأنه كان للملك في البحر سفن مع سفن حيرام، فتعاضم

(١) (ملوك أول ١٠-١٤) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس . ص ١٠٢٤ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس . ص ٤٧٧ .

الملك سليمان علي كل ملوك الأرض في الغني والحكمة. وكانت كل الأرض ملتزمة وجه سليمان لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه. وكانوا يأتون كل واحد بآنية فضية و آنية ذهب وحلل وسلاح و أطياب وخيل وبغال سنة فسنة " وكدليل علي عظم ثرائه نذكر أيضاً ما قالتها التوراة^(١) " وجعل الملك الفضة في اورشليم مثل الحجارة، وجعل الأرز^(٢) مثل الجميز الذي في السهل في الكثرة " . وهناك عشرات القصص التي نسجت حول ثراء الملك سليمان، يؤديها ما روي من بذخ شديد في بناء وتأثيث الهيكل وتأثيث قصور الملك وقصور زوجاته وحرime. وقد أدى هذا البذخ الشديد إلى استهلاك معظم هذه الثروة. الأمر الذي ألجأ سليمان لأخذ خشب من صور ام يدفع ثمنه كما استدان ١٢٠ وزنة ذهب من حيرام ملكها و اضطر - لتسديد هذا الدين - أن يتنازل له عن ٢٠ مدينة في الجليل. وتقول التوراة^(٣) " وكان حيرام ملك صور قد ساعد سليمان بخشب أرز وخشب سرو وذهب حسب كل مسرته. أعطي حينئذ الملك سليمان حيرام ١٢٠ مدينة في أرض الجليل. فخرج حيرام من صور ليري المدن التي أعطاها إياه سليمان فلم تحسن في عينيه، فقال: ما هذه المدن التي أعطيتني يا أخي؟ ودعاها أرض كابول إلى هذا اليوم، و أرسل حيرام للملك ١٢٠ وزنة ذهب. ولما أراد سليمان الحصول علي كميات أكثر من الخشب اضطر إلى إرسال رجال من طرفه لقطع الأخشاب من غابات الأرز في لبنان، فلجأ إلى تسخير رجال من بني إسرائيل^(٤)، وسخر الملك سليمان من جميع بني إسرائيل، وكان السخر ٣٠,٠٠٠ رجل، فأرسل إلى لبنان ١٠,٠٠٠ في الشهر بالنوبة، يكونون شهراً في لبنان وشهرين في بيوتهم. وكان أدونيرام علي التسخير " . و أحياناً تكتب أدورام^(٥) أو هودورام^(٦). وقد أقامه سليمان علي الجزية أيضاً طوال مدة حكمه. واستمر إلى عصر رحبعام ابنه^(٧). وكان لسليمان ٧٠,٠٠٠ يحملون أحمالاً و ٨٠,٠٠٠ يقطعون في الجبل، بالإضافة إلى رؤساء العمال ٣٣٠٠ متسلطين علي الشعب العامل. وأمر الملك أن يقطعوا قطعاً كبيرة من لحجارة مربعة الشكل لأساس البيت ونحتها نبأؤو سليمان بإشراف من

(١) ملوك أول ١٠ : ٢٧.

(٢) خشب الأرز هو أرقى أنواع الخشب لثاقته و استواء فروعه في حين أن خشب الجميز هو أرخص أنواع الخشب .

(٣) ملوك أول ٩ : ١١ .

(٤) ملوك أول ٥ : ١٣ .

(٥) ٢ صموئيل ٢٠ : ٢٤ .

(٦) ٢ أخبار ١٠ : ١٨ .

(٧) قاموس الكتاب المقدس - ٤١ .

بنائي حيرام. وهياؤوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت بالإضافة إلى الحجارة والأخشاب التي كان داود عليه السلام قد هياها قبل وفاته^(١).

(١) قصص الأنبياء والتاريخ، د / رشدي البدرابي ج ٥ / ١٧١ - ١٧٢ .

الباب الثاني

حاتم سليمان وتعاليم أمنمئوبي الاقتصادية

وينقسم إلى فصلين :

الفصل الأول

من هو أمنمئوبي ؟

أثار بعض كتاب الغرب مسألة وجود بعض تشابه بين حكم سليمان عليه السلام وتعاليم الحكيم المصري القديم أمنمئوبي Amen-em-Opet ومن ثم قالوا أن الأولى مشتقة من الثانية. وأمنمئوبي من أهل أخميم في صعيد مصر وكان أحد موظفي الإدارة الخاصة بمخازن الحبوب. وقد عثر علي هذه التعاليم في بردية وجدت في قبره في الجبل الغربي في أخميم، واشتراها أحد تجار الأقصر من تاجر بأخميم. ثم اشتراها المتحف البريطاني وهي موجودة تحت رقم ١٠٤٧٤. ومكتوبة باللغة الهيروغليفية ويتاح للباحثين والدارسين الاطلاع عليها. وكان العالم البريطاني " السير أرنست ألفريد بدج Sur Ernest Alfred Budge " قد نشر في عام ١٩٢٤ ترجمة إنجليزية لتعاليم أمنمئوبي ثم قام العالم الألماني أدولف إرمان في نفس العام بنشر ما رآه من أن تعاليم أمنمئوبي هي الأساس الذي اشتقت منه حكم سليمان التي جاءت في سفر الأمثال في العهد القديم. وفي عام ١٩٢٥ قام العالم " لانج " بنشر ترجمة للبردية و أيد هذا الرأي. وفي عام ١٩٢٦ قام العالمان " فرانسيس جريفث " و"سمبسون " بترجمة البردية من جديد وعملًا مقارنة بين بعض نصوصها وبعض نصوص سفر الأمثال وخلصا إلى أن سفر الأمثال إنما اعتمد علي تعاليم أمنمئوبي إلى حد كبير نظراً لما وجداه من تشابه قوي في الأفكار وفي الأسلوب. وفي عام ١٩٢٩ نشر العالم " كادبري " ترجمة أخرى للبردية و أبان تأثيراتها علي سفر الأمثال. إلا أن البحث المستفيض هو الذي قام به " جيمس برستد " في عام ١٩٣٩ في كتابه " فجر الضمير " و اكتفي " ج. برتشارد " في كتابه " الشرق الأدنى القديم " عام ١٩٥٨ بنشر ترجمة إنجليزية لتعاليم أمنمئوبي مع إشارة في الهامش إلى رقم الإصحاح والفقرة المشابهة من سفر الأمثال.

ومن الطبيعي أن لا يرحّب المحافظون من اليهود بهذه الأقوال وراح بعضهم يؤكد أن بردية أمنمئوبي هي التي نقلت عن سفر الأمثال. أما المؤرخون المصريون فقد نقلوا عن

الترجمة العربية لكتاب برستد " فجر الضمير " والتي لم تحتو إلا علي فقرات من تعاليم أمنمئوبي والفقرات من سفر الأمثال التي رأي أن فيها تطابقاً في اللفظ - ومن ثم تبنا وجهه النظر التي خلّصَ إليها. ولكي نكون محايدين فقد رجعنا إلى الترجمة الإنجليزية لتعاليم أمنمئوبي الكاملة التي نشرها " ج برتشارد " عام ١٩٥٨م^(١) لنعرف نسبة الأجزاء المتشابهة إلى الأجزاء التي ليس فيها تشابه لتأثير ذلك علي النتيجة التي يتوصل إليها. ويذكر برتشارد أن هناك خلاف حول الوقت الذي كتبت فيه تعاليم أمنمئوبي ويرى أنها بالتأكيد كتبت بعد عصر الدولة الحديثة ويرجح كتابتها في وقت ما بين القرنين العاشر والسادس ق.م. مع ترجيح أكثر للقرنين السابع والسادس. ولما كان سليمان قد حكم في القرن العاشر ق.م. (٩٧٣ - ٩٣٣ ق.م.) أي في وقت سابق علي وقت أمنمئوبي. فتكون تعاليم أمنمئوبي هي التي أخذت عن حكم سليمان. ولكن ليس من سند لهذا التوقيت الذي رجحه برتشارد ولا يجب الاعتماد علي الظن في مسألة مهمة كهذه. كما أنه من المهم أن نضع في الاعتبار أن تعاليم أمنمئوبي تكاد تساوي - أو - مادة سفر الأمثال. وعلي كل فإن الاحتمالات القائمة هي :

- ١- سفر الأمثال خذ من تعاليم أمنمئوبي.
- ٢- أمنمئوبي هو الذي نقل عن سفر الأمثال.
- ٣- مجرد توارد خواطر. ونحن نعلم أن الحكم و الأمثال في كثير من البلدان المتباعدة قد تتشابه دون أن تكون إحداها قد نقلت عن الأخرى إذ الحكمة تنشأ من نبض الشعب معبرة عن مشاعره وسلوكه أو تعبر عن تصاريف القدر و أسرارهِ ولا يخلو شعب من الشعوب من حكيم أو حكماء يصوغون له فلسفة الحياة ومفاهيمها في ألفاظ موجزة .
- ٤- هناك احتمال رابع لم يضعه الباحثون من قبل في اعتبارهم. وهو أن يكون الاثنان قد استقيا من مصدر واحد. ولما كان الله سبحانه وتعالى هو أحكم الحاكمين لذلك كانت الحكمة الواردة في الكتب المقدسة - التوراة والإنجيل والقرآن الكريم - هي من أغلي الحكم ومن جوامع الكلم. يلي ذلك أقوال الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - فهم يتكلمون بوحى من الله أو بحكمة أودعها الله في قلوبهم فهو سبحانه وتعالى ﴿وَيَعْلَمُهَا﴾ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. وهذا الاشتقاق من مصدر واحد يوجد تشابهاً في بعض أقوالهم دون أن يكون هناك نقل أو اقتباس.

ولا يفوتنا أن نذكر بأن جيمس برستد - في كتابه عن تاريخ مصر - سبق أن ادعى أن المزمور ١٠٤ من مزمر داود عليه السلام مأخوذ من "الأنشودة الكبرى" لإخناتون، وهذا غير صحيح. والآن نورد المقارنة التي وضعها برستد لنري إن كان سليمان عليه السلام قد أخذ عن أمنموبي أم أن هذا الإساءة أيضاً غير صحيح.

الفصل الثاني

مقارنة بين حكم سليمان عليه السلام

وتعاليم أمنمئوبي الاقتصادية

أمثال سليمان

تعاليم أمنمئوبي

(أمثال ٢٣ : ٦ - ٧ - ٨)

لا تأكل خبز ذي عين شريرة ولا تشته أطايبه لأنه
كما شعر في نفسه هكذا هو.
يقول لك كل و اشرب وقلبه ليس معك. اللقمة التي
أكلتها تتقيؤها وتخسر كلماتك الحلوة.

الفصل الحادي عشر :

لا تطعمن في متاع رجل فقير. ولا تشته خبزه. لأن
ممتلكات المسكين تقف في الحلق وتسده وتتقيؤه
الأمعاء إذا حصلت عليه بأيمان كاذبة والقلب تفسده
المعدة. فإن ملء الفم لآخره بالخبز أكبر من أن
تبتلعه وستتقيؤه. فأنت إذن قد جرّدت من زادك.

التعليق : هناك تشابه في أن المال أو الكسب الحرام لا يستفيد منه المرء كما تتقيأ المعدة الطعام الفاسد.

(أمثال ٢٣ : ٢٠)

مقياس فمقياس مكرهة للرب. وموازين الغش غير
صالحة

(أمثال ١٦ : ١١)

قبان الحق وموازينه للرب. كل معايير الكيس عمله.

الفصل السادس عشر :

لا تخسر الميزان ولا تزيف الصنجات ولا تنقص من
أجزاء مكاييل الغلال. لا تطمع في مكاييل الحقول (أي
الضريبة) وتهمل مكاييل الخزانة (أي لا تنقص
منها) فإن القرد (إله العدالة) يجلس بجوار
الميزان وقلبه لسان الميزان. وأي إله عظيم مثله ذلك
الذي اكتشف هذه الأشياء وصنعها. فلا تصنع لنفسك
موازين ناقصة فإنها مملوءة بالأحزان بإرادة الله.

التعليق : محاولة الغش في الميزان أو عند كيل الحبوب مرض منتشر في كل المجتمعات
الزراعية. وأمنمئوبي ينهي عن ذلك مع تعداد أنواع الغش. أما سفر الأمثال ففيه إيجاز شديد
ينفي الاشتقاق. وجاء نفس المعنى في القرآن الكريم: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى
النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ* أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ
عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). وإن كان المعنى الذي جاء به القرآن الكريم
يجعل التطفيف ينطبق على كل أنواع المعاملات وليس فقط في وزن الحبوب.

الفصل السابع عشر :

التعليق: هو تقريباً تكملة للفصل السابق فهو ينهي عن الغش في كيل الغلال ولا يوجد في سفر

الأمثال ما يشابهه ونختصر منه بعض الفقرات :

لا تسء استعمال المكاييل، ولا تجعل لها قعراً
مقشوشاً و أوف مكيالها بدقة. ولا تتخذ لنفسك
مكيالاً ذا حجمين (صغير عند البيع وكبير عند
الشراء). لأن المكيال هو عين رع وما يمقته هو
الرجل المدلس وكَيْال الغلال الذي يضاعف الغش.
ولا تتأمر مع كيال الغلال (لإتقاص حق الحكومة)
ولا تلعب لعبة " ترتيب الداخل " (أي عمل الأعياب
بينك وبينه. تعطيه رشوة فيتغاضي عن أجزاء من
حق الحكومة.

الخلاصة :

من هذه المقارنة يمكننا ملاحظة وجود بعض التشابه في فقرات قليلة. لا تؤيد ما زعم
عن " نقل " إذ أن النقل، يستلزم تطابقاً في المعني واللفظ في فقرات كثيرة. لهذا فإننا نرجع هذا
التشابه البسيط إلى أن الاثنين قد استقيا من مصدر واحد. وهو العلي القدير. فسليمان عليه السلام قد
أوتي الحكمة من الله عز وجل. فالحكمة من أشراف النبوة. ولكن الحكمة فضل من الله قد يهبها
الله لغير الأنبياء وحتى قد يكونون من غير المؤمنين بالله. ولتقريب المسألة إلى الأذهان نشير
إلى ما أسماه فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي " عطاء الربوبية ". بمعنى أن الله هو خالق
الخلق مؤمنهم وكافرهم وهو يعطيهم ما تقوم به حياتهم. وقد يجتهد غير المؤمن في أسباب
الحياة فيصل إلى درجة لم يصل إليها المؤمن. والحكمة مما تقوم عليه حياة المجتمعات
البشرية ولذلك فهي عطاء ربوبية تظهر في المجتمعات المؤمنة وغير المؤمنة. لذلك فإن
حضارة مصر القديمة. وهي في مجملها وثنية وتؤمن بتعدد الآلهة إلا أنها حفلت بالعديد من
الحكماء. و أهم ما وصل إلينا وحسب ترتيبهم التاريخي هم : حكم و أمثال " بتاح حناب " و
وتعاليم " كاجمني " واما من الدولة القديمة. وتعاليم " مري كارع " من العهد الإقطاعي.
ووصايا " الملك أمنمحات " وتعاليم " سحت. أ.ب. رع " وتعاليم " حينتي " من الدولة
الوسطى. وتعاليم " أني " وتعاليم " أمنموبي من الدولة الحديثة " إلا أن أمنموبي كان

أشهرهم وسجل له القرآن الكريم حكمته هذه إذ أننا نري أنه هو " لقمان " الحكيم والذي سميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم :
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ.....﴾^(١).

وقد أنكر المستشرقون علي القرآن الكريم ما ذكر فيه عن لقمان اعتماداً علي أنه لم يأت أي ذكر له في التوراة وقالوا : إن اسم " لقمان " يجيء في العربية من لَقَمَ أي بَلَغَ. وقالوا تأسيساً علي ذلك: إن لقمان يعني بلعام علي وزن فعلام. وعليه قالوا: إن لقمان هو بلعام بن بعور، نبي فتور. والذي أستأجره ملك مؤاب ليعلم بني إسرائيل. وقد نقل عنهم أصحاب تفاسير القرآن الكريم هذه الأقوال مثل ابن اسحق. وقال السهيلي: كان لقمان نوبياً من أهل أيلة. مع أن النوبة في جنوب مصر وأيلة علي الطرف الشمالي لخليج العقبة. وقال سعيد بن المسيّب: إن لقمان أسود من سودان مصر ذو مشافر يعني عظيم الشفتين وذلك محاولة لتفسير معني لقمان بأنه عظيم اللقمة مبالغة من لَقَمَ. ويرى الأستاذ رؤوف أبو سعدة^(٢). خطأ هذا الافتراض ؛ لأن اللقم هو الأخذ بجمع الفم. واللقمة تسمي بذلك طوال ما بقيت في الفم و إنما البلع يأتي بعد ذلك إذ نمر اللقمة إلى البلعوم، فمساواة لَقَمَ بـ بَلَغَ والقول بأن لقمان هو بلعام خطأ بَيِّن.

والحقيقة أن الجذر " لقم " له عدة معاني : فقد جاء في المعجم الوسيط^(٣) عن الجذر لَقَمَ : ألَقَمْتُهُ أَذْنِي فَصَبَّ فِيهَا كَلَاماً. ويقال التقم أَذْنَهُ أي سارَهُ.

وقد كانت أول تعاليم أمنمئوبي : " أعرني أذنيك. اسمع ما أقول " فهو ملتقم الأذن وهو لقمان. كما أن "اللقم" هو الطريق الواضح. واللقم معظم الطريق أو وسطه^(٤). أما اللقم بسكون القاف فهو سرعة الأكل. والقرآن الكريم وقد نزل بلسان عربي مبين لم يكن ليذكر اسم "أمنمئوبي" كما هو فاختار له اسماً عربياً. وقد سبق أن ذكرنا أن الملابسات المصاحبة للحدث يشتق منها الاسم. فمن ضحك سارة عندما بشرتها الملائكة بالولد كان اشتقاق اسم اسحق من سحق أي ضحك.

(١) آية ١٢ سورة لقمان .

(٢) من إعجاز القرآن الكريم . جـ ٢ . ص ٢٢٠ .

(٣) جـ ٢ ص ٨٤٢ .

(٤) القاموس المحيط جـ ٤ . ص ١٧٦ .

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَاضْحَكْتَ فَيَشْرِنَاهَا بِإِسْحَاقَ...﴾^(١) وعلي هذا النسق كان اشتقاق اسم عربي لأمنمئوبي. فمن اللقم أي الطريق الواضح والطريق الوسط الحكيم. ومن التقام الأذن لتسمع أقواله. صاغ القرآن الكريم من الجذر "لَقَمَ" تهذين المعنيين اسم "لقمان". وزيادة علي ذلك دأن هذا الاسم مناسباً من وجهة أخرى إذ فيه إشارة إلى مهنة أمنمئوبي. فقد كان أمنمئوبي من كبار موظفي الإدارة الخاصة بمخازن الحبوب. و " الحنطة اللقيمية " الكبار^(٢). ففي الاسم إشارة إلى كبر وظيفته. وفي هذا يقول أمنمئوبي في مقدمة تعاليمه : " أَلْفَه ملاحظ الأراضي الحاذق في عمله ملاحظ الغلال ومدير المكايل وهو الذي يقيّد الجزر والأراضي الجديدة (طرح النهر) ملاحظ الغلال والقابض علي زمام الأطمعة والذي ينقل مخازن الغلال ". فهو يعمل في الغلال وكبير في مركزه فهو يشبه الحنطة اللقيمية. وآخر معاني الجذر لقم هو ما يقال " رجل لَهُمْ لَقَمٌ " يعلو الخصوم. ولقم الطريق: سد فمه وأمنمئوبي في حكمته كان يعلو كل أقرانه، فهو " لقيم ". كما أن أحداً لم يكن ليجاريه في حكمته فكانه لَقَم الطريق أي سدّه في هذا المجال علي من بعده.

من كل هذه المعاني للجذر " لقم " سواء بفتح القاف أو كسرها أو سكونها صاغ القرآن الكريم لأمنمئوبي اسماً دريياً هو " لقمان " بوزن فعلان.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن أمنمئوبي هو لقمان : هو أن أمنمئوبي كان له ابن يُسمي «حور.إم. ماع. نرو» ويصفه بقوله " لابنه أصغر أولاده. وهو صغير إذا قيس بأقاربه " وقد كتب له أمنمئوبي هذه الوصايا والنصائح لتعليمه - كما يقول هو في المقدمة - «بداية درس الحياة والإرشاد إلى الخير وكل قواعد الاندماج بين كبار الموظفين ليعرف كيف يجيب عن سؤال يلقي عليه ويسرف كيف يرد كتابة علي تقرير ورد إليه ليجعله يفلح علي الأرض وبذلك يُبعده عن الشر حتّي يكون ممدوحاً في أفواه القوم»^(٣). وهذا يتفق مع ما ذكره القرآن الكريم.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ...﴾^(٤) هنا تجابها مشكلة وهي أن القرآن الكريم ذكر أن أول تعاليم لقمان هي قوله : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وبمراجعة تعاليم أمنمئوبي لا نجد فيها مثل هذه الدعوة الصريحة لعدم الشرك بالله. إلا أن

(١) آية ٧١ - سورة هود .

(٢) القاموس المحيط . ج ١ : ١٧٦ .

(٣) الأدب المصري القديم . سليم حسن . ج ١ ص ٢٤٧ و ٢٤٩ .

(٤) آية ١٢ - سورة لقمان .

القاريء المدقق لتعاليم أمنئوبى يلاحظ تدينه الشديد. وبالرغم مما ذكره فى بعض الفقرات من أسماء لآلهة قدماء المعسريين إلا أننا نلمس إيمانه بقوة أخرى عظيمة خفية سماها الإله أو الله. فهو يؤمن بالله واحد فوق كل الآلهة. هو الذى يرزق فى الدنيا ويحاسب فى الآخرة. لذلك يجب على الإنسان ألا يخاف أحداً إلا الله. وإذا ما ظلمَ فيوكل أمره إلى الله. وإذا استبد به الغضب وعزم على الانتقام من خصمه عليه أن يكظم غيظه ويترك الأمر لله وهو يتولى مجازاة الخصم. ولكن لأن ثقافة القوم فى ذلك الوقت النظام الحاكم، الفرعون والكهنة - لم تكن تتيج له أن يصريح فى تعاليمه بهذا التوحيد الخالص مما قد يعرضها للمصادرة وهو كان يريد لتعاليمه الانتشار والوصول إلى أكبر عدد من الناس. ويرى " أودلف إرمان " أن تعاليم أمنئوبى كان لها شهرة عظيمة لدرجة أنها كانت تستعمل بمثابة " كتاب مطالعة وتمرين " فى المدارس فى عهد الدولة الحديثة. فقد عثر على فصول من هذه التعاليم مكتوبة على برديات صغيرة أو ألواح من الخشب عليها طبقة من الجص وبها أخطاء إملائية مما يوحي بأن كاتبها كانوا من التلاميذ الصغار. إلا أن أمنئوبى كان من الحصافة بحيث ضمن تعاليمه فكرة الإله الواحد دون أن يسجل ذلك صراحة فيها ولكنه قالها شفاهة لابنه «يَابْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» وهو ما سجله له القرآن الكريم كما أن القارئ المتمعن يستطيع أن يستخلص أن المثل الأعلى عند أمنئوبى هو الرجل الرزين المتواضع «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا». وكانت تعاليمه عبارة عن أمر بالمعروف فى جميع صورته ونهى عن المنكر فى جميع أشكاله. ولا شك أن أمنئوبى نفسه كان على هذه الصفات الحميدة التى نصح بها ابنه. وهكذا كانت الحكمة التى اسبغها الله عليه هي التى قادتة إلى معرفة الله وتوحيده.

الباب الثالث

سليمان ومملكة سبأ

وينقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول

موقع سبأ الجغرافي

كانت اليمن في أندم أزمانها تتكون من مقاطعات تشبه المقاطعات في أوربا والتي كان يمتلكها اللوردات أو البارونات إلا أن هذه المقاطعات في اليمن كانت تسمى "محافد" جمع محفد أو قصور. والمدفد أو القصر كالحصن أو القلعة يحيط بها سور ويقام فيها شيخ أو أمير تحف به الحاشية والأدوان والخدم. ويقام أيضاً داخل الحصن المزارعون والعمال الذين يعملون في الأرض الدحيطة بالحصن. ويعرف صاحب القصر بلفظ " ذو " أي صاحب فيقال: " ذو معين " أي " صاحب معين " " وذو غمدان " أي صاحب غمدان وهكذا. وقد تجتمع عدة محافد على واحد منهم يتولى توجيه شئونهم ويسمى " قيل " فإذا كانت المحافد كثيرة كانت المساحة التي يحكمها ،ذا القيل كبيرة فيسمى ملكاً.

وكانت اليمن ومراؤها يشتغلون بالتجارة لوقوع اليمن في مكان متوسط بين الهند والحبشة والصومال من ناحية، ومصر والشام والعراق في الناحية الأخرى فكانوا ينقلون التجارة بين هذه البلاد. إذ ترسو السفن بالبضاعة في مواني اليمن ثم تنقلها القوافل في طرق خاصة إلى الشمال (شكل ٧). وقد ذكر اليونانيون عدة فترات من الحكم في اليمن كان أقدمها الدولة المعينية وعاصمتهم مأرب.

ويقول جورج زيدان^(١): إن المعينيين من عمالقة العراق وبدو الأراميين الذين كانوا في أعالي شبه الجزيرة العربية ولما ظهر حمورابي في بابل اقتبسوا عنه شرائعه وتنظيماته الإدارية وكانت لغتهم في اللغة الكلدانية. ثم نزح المعينيون جنوباً حتي وصلوا إلى اليمن واستوطنوها إذ ساعدهم تدمينهم على غلبة من كانوا فيها قبلهم. وما لبثوا أن امتدت سيادتهم على معظم أنحاء الجزيرة العربية، ولذلك يعتبر علماء الأجناس أنهم عرب متعربة ؛ لأنهم اقتبسوا اللغة العربية من العرب البائدة (الذين كانوا في الأرض قبل قدومهم إليها).

(١) مؤلفاته الكاملة، ص ١٥٨ .

أما عن أصل السبئيين فيري كثيرون أنهم من نسل قحطان، وأنهم نزلوا اليمن وأقاموا بجوار المعينيين حيناً من الدهر واختلطوا بهم وبغيرهم من أهل الجزيرة العربية واقتبسوا اللغة العربية. واستمر السبئيون في حكم اليمن حتي عام ١١٥ ق. م. ثم ضعفت تجارتهم وبدأت «ريدان» في الظهور. وهم نوع من السبئيين يسكنون إلى الجنوب من سبأ. ثم تغلب الريدانيون واتخذوا من ظفار عاصمة لهم وكان ملكهم يسمى " ملك سبأ وريدان ". ثم لما تداعي سد مأرب انتقل ثقل الحكم إلى الجنوب وسمي " ملك سبأ وريدان وحضرموت ".

وأقدم جيران اليمن هي الحبشة. وكانت العلاقات التجارية متينة بين البلدين اللذين لا يفصلهما إلا مضيق صغير يسهل عبوره هو " مضيق باب المندب " لذلك فقد كان في اليمن عدد كبير من الأحباش حتي إن بعض الباحثين يرون أن سكان اليمن كلهم جاءوا من الحبشة. كما يعتقدون أن ملكة سبأ هي من الأحباش وأنها لا لما تزوجت سليمان عليه السلام ولدت له ابناً ومن ذريته جاءت سلسلة ملوك الحبشة. ولذلك يلقب ملك الحبشة نفسه بـ " الأسد الخارج من سبط يهوذا ".

جاء في كتب التفسير^(١) أن سبأ هو " سبأ بن يشجب بن قحطان ". وذكر الإخباريون^(٢) أن سبأ ينسب إلى يعرب الذي جاء بولده إلى اليمن، وانتقل الملك منه إلى ابنه يشجب ويقال له "يمن"، ومن ولده عبد شمس ويقال له: عامر ويلقب بـ "سبأ " وهو أول من سبي السبي. وهناك نص معروف بين الدارسين بـ Res 4304 ترجمته " عبد شمس، سبأ بن يشجب، يعرب بن قحطان " ولكنه نص مشكوك فيه، وغالباً أنه وضع بعد الجاهلية من بعض مقلدي الآثار الذين عرفوا المسند^(٣).

وهناك رأي حديث^(٤) يناقش تفسير كلمة " سبأ " ويقرر أن معناها ليس السبي، كما هو متعارف عليه حتي الآن، بل الغزو، كما هو واضح في مصدر الكلمة في النقوش اليمنية القديمة، وتعني " سبأ " في هذه الحالة «غزا» و«سبأتن» " الغزوة " وتعبر نون الآخر هنا عن أداة التعريف.

(١) الفتوحات الإلهية، سلمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجميل، ج ٣ / ٤٦٦ طبعة عيسى الحلبي بمصر.

(٢) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ١ / ٣٦٢ : ٣٦٤، ط ٢، بيروت ١٩٧٦.

(٣) نفس المرجع السابق ج ١ / ٣٦٤، ج ٢ / ٢٥٨، ٢٥٩.

(٤) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، يوسف محمد عبد الله، ج ٢ / ٢٣، ٢٤، وزارة الإعلام والثقافة باليمن ١٩٨٥ م.

وعبر الاسم بعد ذلك عن دولة سبأ التي تعتبر نواة التاريخ اليمني القديم وأهم رموزها التاريخية والحضارية دني يمكن اعتبار الدول الأخرى مثل معين وأوسان وقتبان وحضرموت توابع لسبأ عاصرتها لفترات، واندمجت معها أحياناً وانفصلت عنها أحياناً أخرى، وفي النهاية اتحدت معها وكونت دولة حمير^(١).

أرض سبأ: يمكن تحديد أرض سبأ في منطقة مأرب إلى الجوف شمالاً وما يوازيها من المرتفعات الشرقية مثل مناطق أرحب وخولان وقاع صنعاء وقاع البون، وفي فترات قوتها امتدت أملاكها إلى معظم اليمن، وكانت عاصمة الدولة في البداية " صرواح " وبعدها انتقلت إلى «مأرب» ولعل اختيارها كعاصمة راجع إلى موقعها المتميز فهي تتحكم في الطريق التجاري الهام المعروف بطرق اللبان، الذي كان يمتد من ميناء قنا على ساحل المحيط الهندي عبر حضرموت إلى نجران ومنها إلى ددان (العلا) ثم إلى غزة^(٢).

والتساؤل الآن عن الوقت الذي استقر فيه السبئيون في هذه المنطقة وهنا اختلفت الآراء، فمن الدارسين^(٣)، منهم فريتز هومل، من يعتقد أن بدايات نشأة دولة سبأ كانت في شمال الجزيرة العربية، وأنهم ارتحلوا إلى المنطقة التي عرفت باسمهم مع بدايات القرن الثامن قبل الميلاد واعتمدوا في ذلك على عدة أدلة منها :

أولاً: رأوا في حاكمة سبأ التي قامت بزيارة سليمان في أورشليم، ملكة عاشت في شمال الجزيرة العربية على مقربة فلسطين، وأشاروا إلى النصوص الآشورية التي ترجع إلى منتصف القرن الثامن والقرن السابع قبل الميلاد التي ذكرت حوالي خمس ملكات عربيات حكمن في شمال الجزيرة العربية^(٤) ولم يأت ذكر لأي ملكة حكمت في الجنوب.

ثانياً: ذكرت النصوص الآشورية - المعروفة حتي الآن - سبأ في ثلاث مناسبات^(٥).

أ (جاء في نص راجع إلى الملك الآشوري تجيلات بيليسر الثالث (حوالي ٧٣٨ ق.م.) أنه تلقى جزية من السبئيين.

(١) أوراق في تاريخ اليمن، يوسف عبد الله جـ ٢ / ١٩ .

(٢) نفس المرجع السابق - ٢ / ٢٤ .

(٣) على سبيل المثال، نلسن - هومل، تاريخ العرب القديم ٦٣ - ٦٤، جواد علي في المجلد ٢ / ٢٥٩ .

(٤) المرأة في النصوص الآثار العربية القديمة، عبد العزيز صالح ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (١٤)

الكويت ١٩٨٥ م ص ٤٦ : ٥٣

(5) A . Grohmann Arabiel 24.

وكذلك: أوراق، يوسف عبد الله، جـ ٢ / ٢٢

(ب) ذكرت حريات سرجون الثاني الآشوري (حوالي ٧١٥ ق.م) أنه تلقي جزية من الذهب والأحجار الكريمة والأعشاب والخيول من " اتي أمر "السبئي "

(ج) ذكرت نصوص الملك الآشوري سناحريب (حوالي ٦٨٥ ق. م) أنه استقل مندوباً من الحاكم السبئي " كربيي ايلو " ومعه جزي أو هدايا عند احتفاله بوضع حجر أساس "بيت اكيثو".

ويري بعض الباحثين أن الحاكمين السبئيين المذكورين في النصوص الآشورية هما اللذان ذكرتهم النقوش اليمنية. أولهما هو " يثع أمر بن أسمهو على ينوف " الذي ما زال اسمه منقوشاً على الجدران الجنوبي لسد مأرب، أما ثانيهما فهو " كرب ايل وتار بن ذمار على " الذي جاء اسمه في نقش صرواح الكبير المعروف بنقش النصر^(١).

واعتبر أصحاب الرأي القائل بسكني السبئيين شمال الجزيرة العربية، أنهم كانوا على مقربة من الآشوريين وأحسوا بقوتهم فقدموا لهم الجزى والهدايا تحسباً لبأسهم.

ثالثاً: جاء في التوراة - سفر أيوب - الإصحاح الأول (آية ١٣-١٥) وكان ذات يوم وأبناءؤه وبناته يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهما الأكبر، أن رسولاً جاء إلى أيوب وقال : البقر كانت تدرث والأتن ترعى بجانبها فسقط عليها السبئيون وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت أنا وحدي لأخبرك .

ولما كان من المرجح أن أيوب عاش في شمال لجزيرة العربية، لذا اعتقد أصحاب الرأي أن السبئيين كانوا بالتالي يعيشون على مقربة منه.

رابعاً: جاءت كلمة سبأ في نقش، معيني يفهم منه أن قبيلة سبئية كانت تسطو على الطريق التجاري الممتد بين بلاد العرب الجنوبية ومعان الواقعة في شمال بلاد العرب، بل وتسطو أيضاً على القوافل المعينية القادمة إلى مصر .

خامساً: ذكرت التوراة - تكوين - الإصحاح العاشر (آية ٧) " وبنكوش سبأ وحويلة وسبئة ورعمة وسبتك' وبنو رعمة شاب' وددان " . من المعروف أن ددان هذه كانت دولة شمالية قامت حول واحة العلا في شمال الحجاز، ولذا أعتقد أن سبأ كانت على مقربة منها.

سادساً: يري هومل أن السبئيين كانوا يقيمون في المواضع التي عرفت بـ "أريبي" أو "أريبو" في الكتابات الآشورية والتي عني بها أعراب شمال الجزيرة وبادية الشام، ويضيف أن

(١) نفس المرجع السابق بندس الصفحة .

السبئيين قد اشتقوا من كلمة "يرب" "يارب" اسم "مأرب" الذي أطلقوه على عاصمتهم عندما انتقلوا إلى الجنوب.

سابعاً: يرس هومل أن، اختلاف لهجة السبئيين عن بقية الشعوب العربية الجنوبية، وقربها من اللهجة الشمالية لغة القرآن، دليل آخر على أنهم كانوا من سكان شمالي الجزيرة العربية^(١).

هذا وقد فند الدكتور عبد العزيز صالح^(٢) الآراء السابقة ورد عليها بالتفصيل ويمكن إيجاز هذا الرد في النقاط التالية :

أولاً: إذا ما رجعنا للقرآن الكريم وتناولنا حديث الهدد مع سليمان خاصة جملة ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ التي تدل على قصر المدة الزمنية على الرغم من طول المسافة، وهو المرجح، فإن سياق بقية معجزة الهدد يدل على أن أرض سبأ كانت بعيدة عن مملكة سليمان في فلسطين، وأن كل منهما لم تكن تعرف أحوال الأخرى معرفة تامة.

وجاء على لسان الهدد في الآية ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ وهو ما يدل على ثراء هذه الحاكمة، وهو ما يمكن تحقيقه في المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة التي كانت تمتع في ذلك الحين بالموارد الطبيعية والاقتصادية، إذا ما كانت هذه الملكة بهذا الثراء ومقرها شمال الجزيرة فالي الآن لا تعرف لها هناك أي آثار تثبت ذلك، وإذا كان السبئيون قد بلغوا هذا الثراء في الشمال في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد فما هو الحافز لهم للهجرة إلى الجنوب ؟

كما جاء في سورة سبأ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾^(٣).

تشير الآية الكريمة إلى جنتي سبأ وسيل العرم وكل منهما لا شك في قيامه في جنوب شبه الجزيرة العربية دون شمالها.

(١) المفصل، جواد علي ٢ / ٢٦٠ .

(٢) محاضرات في تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، عبد العزيز صالح، ص ٤٤، مكتبة الأنجلو المصرية د . ت

(٣) الآية ١٥-١٦ .

وإذا ما استعنا أيضاً بما رددته الأساطير الحبشية ونسب أسرتها الملكية إلى سليمان، فهو دليل آخر على أن دولة سبأ كانت قريبة ومقابلة لأرض الحبشة أي في جنوب شبه الجزيرة العربية.

ثانياً : بالنسبة لذكر سبأ في النصوص الآشورية فغالباً أن السبئيين المتصلين بأشور كانوا مجرد قبيلة أو جالية تجارية أقامت في شمال الجزيرة العربية قرب تيماء ومنطقة الجوف الشمالي، وكانت لقربها من بلاد آشور تعرف قوة حكامهم. فقدمت لبعضهم الهدايا والجزى تجنباً لبطشهم، وعلي الجانب الآخر رأي الآشوريون في ذلك تعبيراً عن طاعة دولة سبأ الأم في الجنوب

ثالثاً : يمكن تطبيق هذا القول على ما جاء في ثالثاً ورابعاً وخامساً واعتبار أن اللذين هاجموا رعاة أيوب أو ما جاء في النقش المعيني أو ذكر سبأ بجانب ددان، ما هم إلا من هذه القبيلة السبئية التي عاشت في شمال شبه الجزيرة العربية

رابعاً : اتخذ السبئيون في بداية إقامتهم في الجنوب صروح عاصمة لهم، وبعدها بفترة من الزمن انتقلوا إلى مأرب وهذا يعارض الرأي الذي خرج به هومل

خامساً : عن اللهجة السبئية وقربها من لغة القرآن الشمالية، فهو دليل على استمرار الصلات التجارية والحضارية بين الجنوب والشمال، كما أن النصوص السبئية الحميرية استمرت حتي نزول القرآن.

من المناقشات يتضح أن دولة سبأ انتعشت وتطورت في جنوب شبه الجزيرة العربية، بل يعتبر الشعب السبئي من أنشط وأقدم شعوب المنطقة وهناك احتمال أن حضارة سبأ تعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد إذا ما كانت كلمات **SABUM** و **SABA** التي جاءت في النصوص السوميرية تشير إلى أو تعني السبئيين ففي هذه الحالة يمكن اعتبارهم أقدم شعب سامي جنوبي في التاريخ العربي القديم^(١).

والنقاش بين الدارسين - كما رأينا - هو عن تحديد الزمن الذي استقر فيه السبئيون في اليمن، واعتماداً على الدراسات الحديثة فإن أقدم كتابة يمنية - معروفة حتي الآن - هي التي كشف عنها في " هجر بن حميد " من وادي بيجان والتي تؤرخ بين القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد^(٢).

(١) الفصل، جواد علي ٢ / ٢٥٩ .

(٢) أوراق، يوسف عبد الله ٢ / ٢٢ .

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى زيارة حاكمة سبأ لسليمان الذي حكم في الفترة ما بين ٩٦٥ - ٩٢٥ ق. م. فإن تاريخ نشأة دولة سبأ في الجنوب لا بد أن تكون أقدم من ذلك التاريخ بـ عدة قرون، ولعلمهم استقروا في المنطقة اعتباراً من عصر الحديد حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد أو قبل ذلك ^(١)، وأصبح لدولة سبأ والسبئيين شهرة خاصة في تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم وزاد هذه الشهرة وضوحاً ذكر سبأ عدة مرات في التوراة.

وفي أكثر من موضع في النصوص الآشورية منذ القرن الثامن قبل الميلاد وكذلك في الكتب اليونانية واللاتينية، ثم بقاء كيانه السياسي إلى ما قبل الإسلام بقليل مما جعل ذكراهم باقية عند الرواة والإخباريين العرب مع أن هؤلاء لم يلتزموا بالحقائق التاريخية إنما ضافوا إليها الكثير من القصص والإسرائيليات كما رأينا. ويتوج شهرة سبأ ذكرها في القرآن الكريم عدة مرات، وما كان القرآن الكريم ليشير إلى سبأ والسبئيين لو لم تكن لهم ذكرى في العصور السابقة على الإسلام. والقرآن الكريم صورة ناطقة لأحوال الجزيرة العربية قبل الإسلام ونصوصه موثوقة لا يرقى إليها الشك وهو يعتبر من أهم المصادر التي نقلت لنا أخبار العرب قبل الإسلام ^(٢).

(1) A . Grohmann Arabiel 24 - 25 .

(٢) المفصل، جواد علي ١ / ٦٦ . قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، دار الجيل بيروت ١٩٧٨ م، ص ٢١١ . التاريخ والمؤرخون العرب، عبد العزيز سالم على كتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه، ص ١٦٩، ط ١، حيدر آباد دكن ١٣٤٧ هـ .

الفصل الثاني

سبأ في الكتب المقدسة والمصادر العربية والتاريخية

أولاً : ما جاء في الكتب المقدسة :

١ - التوراة :

- تعتبر رواية التوراة عن زيارة ملكة سبأ لسيدنا سليمان - دون شك - أقدم الروايات والنص الحرفي لما جاء في الملوك الأول الاصحاح العاشر (١ - ١٣) وهو^(١) :
- (١) وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأنت لتمتحنه بمسائل.
- (٢) فأنت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة وأنت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبيها.
- (٣) فأخبرها سليمان بكل كلامها. ولم يكن أمر مخفياً عن الملك لم يخبرها به.
- (٤) فلما رأت ملكة سبأ كل حكمه سليمان والبيت الذي بناه.
- (٥) وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقائه ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب لم يبق فيها روح بعد.
- (٦) فقالت للملك : صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك.
- (٧) ولم أصدق الأخبار حتي جئت وأبصرت عيناى فهو ذا النصف لم أخبر به زدت حكمة وصلاًحاً على الخبر الذي سمعته.
- (٨) طوبى لرجالك^(٢) وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك.
- (٩) ليكون مباركاً الرب، إلهك الذي سر بك وجعلك على كرسي إسرائيل. لأن الرب أحب إسرائيل إلى الأبد جعلك ملكاً لتجري حكماً وبراً.
- (١٠) وأعطت الملك مائة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب، في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان.
- (١١) وكذا سفن حيرام التي حملت ذهباً من أوفير^(٣) أتت من أوفير بخشب الصندل كثيراً جداً وبحجارة كريمة.

(١) نفس النص مذكور في أخبار أيام ثاني - الإصحاح التاسع ١ : ١٣ ، فيما عدا بعض التغيرات البسيطة .

(٢) في النسخ اليونانية جاءت " زوجاتك " ، أما في العبرية فهي " رجالك " .

(٣) المفصل، جواد علي ١ / ٤٣٠ ، ٦٣٨ وما بعدها .

(١٢) فعمل سليمان خشب الصندل درابزيناً لبيت الرب وبيت الملك وأعواداً ورباباً للمغنين. لم يأت ولم ير مثلاً خشب الصندل ذلك إلى هذا اليوم.

(١٣) وأعطى الملك سليمان لملكة سبأ كل مشتهاها الذي طلبت عدماً ما أعطاها إياه حسب كرم الملك سليمان. فانصرفت وذهبت إلى " أرضها هي وعبدها "

تعليقي :

أولاً : ذكر اسم سليمان في العبرية بـ " شلمو " Shilomoch ومعناها المسالم Peacable وسمي أيضاً Jedidiah " جديدة " ومعناها " المحبوب من يهوه " وهو ابن داود الذي سبقه على العرش وولد من زوجته " باتشيبه Bathsheba " ابنة القسم " Daughter of the Oath " وهي - كما جاء في المصادر العبرانية - التي كانت لها علاقة غير شرعية مع داود أثناء غياب زوجها في الحرب، وعندما قتل زوجها أورياه " Uriah " بتدبير من داود، وبعد أن انتظرت بعض الوقت حزناً على زوجها تزوجها داود، ولكن الطفل الذي حملت به سفاحاً من داود مات وهو صغير وولدت بعد ذلك أربعة أبناء أكبرهم سليمان^(١).

ثانياً : تولى سليمان الحكم وهو ابن عشرين عاماً وجلس على العرش بين عامي ٩٦٥ و ٩٢٥ ق.م. (كما ورد في المصادر العبرانية)، ولو تتبعنا قصة ملكة سبأ في التوراة نجد أنها حدثت في الوقت الذي كان فيه سليمان قد بلغ أوج عظمته وأتم بناء المعبد والقصر، وراجت أعماله التجارية في جميع أرجاء المنطقة، أي أن تاريخ هذه الزيارة يمكن وضعه ما بين ٩٥٠ و ٩٤٠ ق.م^(٢). ولم يعثر حتي الآن على أي آثار سبئية يمكن إرجاعها عن يقين إلى هذا العصر، أي القرن العاشر ق.م.

(١) وصفت المصادر العبرانية سيدنا داود عليه السلام بعدة صفات متناقضة، فهو محب للموسيقى والغناء ويتصف بالسماحة أحياناً والنف أحياناً أخرى وهو وصف مقارب لوصف إلههم (يهوه) القاسي، الذي يغفوا ويتسامح في بعض الأحيان مع أعدائه، وقيل عن داود عليه السلام أنه يأخذ النساء من أزواجهن، ومنها قصة زوجة قائده " أوريا " الحشي وهي أم سيدنا سليمان عليه السلام التي ساعدته في الجلوس على العرش بعد وفاة أبيه .

(انظر : نصر والشرق الأدنى القديم، نجيب ميخائيل إبراهيم، ٣ / ٣٢٤ - ٣٢٥، ط ٢ ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٤ م .)

(2) Qataban and Sheba W. phillibs London 1955 107.

ثالثاً : نلاحظ أن ملكة سبأ كانت قد سمعت بسليمان وحكمته وملكه قبل زيارتها له ولعل هذا يشير إلى أنه كان يسيطر على الطرق التجارية في بلاد الشام وأن القوافل الآتية من الجزيرة العربية كانت خاضعة لدفع الرسوم عند مرورها بأراضي سليمان، كما جاءت إشارة إلى "أورشليم" عاصمة ملك سليمان، بل أن قصة زيارة "ملكة سبأ" لسليمان تدل على معرفة العبرانيين بالسبئيين، وعن الصلات التجارية التي كانت بينهم ولعل في تلك الزيارة توثيقاً لتلك الصلات^(١).

رابعاً : يفضل أن نستقبل ما جاء في التوراة عن عظمة بلاط سليمان واتساع ملكة وحياته في قصره بالكثير من التحفظ ؛ لأن الذين وصفوا هذه الأوصاف كانوا متأثرين إلى حد كبير بما كان سائداً في بلاد الملوك الفرس الأخمينيين^(٢).

ولذلك فإن كثيراً من العلماء الذين اهتموا بدراسة التوراة وتاريخ اليهود يرفضون هذه الأوصاف وأخبار الثروة على أنها "مبالغاة شرقية" Oriental exaggerations جسمتها الرواية من جيل إلى جيل في شعب لم يتمتع بملكة داود وسليمان إلا فترة قصيرة^(٣)، ثم أصابها الدمار والتفرقة، وعندما بدأ اليهود في تدوين تاريخهم أضفوا على تلك الأيام الكثير من الخيال لإثبات ما كان لهم من مجد عظيم.

خامساً : ذكر الإبل في هذه القصة أمر طبيعي، فإن هناك من الدلائل ما يكفي على التأكيد بأن استئنافها واستخدامها في بلاد الشام بدأ حوالي ١٢٠٠-١٠٠٠ ق.م. وغالباً فإن أقدم أثر معروف حتي الآن، عليه رسم جمل ذي سنام واحد عثر عليه في تل حلف بسوريا، وهو الآن في (والترز آرت جالاري) في بلتيمور، ويؤرخ بحوالي عام ١٠٠٠ ق.م.^(٤). أما الأشياء التي قدمتها ملكة سبأ لسليمان وهي الذهب وأنواع الطيب والأحجار الكريمة (الأصح النصف كريمة) فهي مما يكثر وجوده في اليمن^(٥).

سادساً : ورد في التوراة أن ملكة سبأ قدمت لسليمان ١٢٠ وزنة من الذهب والوزنة هي الطالنت (في العبرية كوكار Kukar) ومعناها حلقة، وهي أكبر الأوزان عند

(١) الفصل جواد علي ٢/ ٢٦٢ .

(٢) دراسات في تاريخ الشرق القديم، أحمد فخري ص ٢١٦، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ .

(٣) من حوالي ١٠٤٠ - ٩٢٣ ق.م. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، فيليب حتي، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت ١٩٨٢م ص ٢٠٢ : ٢٠٦ .

(٤) أوراق، يوسف عبد الله ٢ / ٨٢ .

(٥) عما يوجد باليمن من المعادن والأحجار الثمينة .

Suedarbein als Wirtschaftsgebiet A. Grohmann 1. wien 1922 164 ff

العبرانيين، ويساوي الطالنت (سواء من الذهب أو الفضة أو الحديد أو أي مادة أخرى) ٣٠٠٠ شكيل Shekel من العملة القديمة التي كانت تستخدم في ذلك الوقت. ولو قارنا هذه الكمية بما كان يفرضه ملوك مصر القديمة مثلاً أيام الامبراطورية (١٥٠٠ - ١٠٨٠ ق. م.) على الشعوب المختلفة أو ما كانت تدره المناجم التي تخرج الذهب نجد أن الكمية مبالغ فيها^(١). هذا ومن المعروف أن الطالنت هو الوزن الذي يستطيع ارجل حمله ويعادل بأوزاننا الحالية حوالي ٢٦ كيلو جراماً ونصف.

سابعاً : ليس في رواية التوراة أية إشارة إلى اسمها أوالى " محاولة غرامية " بل القصة كلها تدور حول امرأة حاكمة سمعت بحكمة سليمان فجاءت للتعرف وتبادل الهدايا معه، ولكن بعض كتاب اليهود فيما بعد أضافوا إليها الشيء الكثير وجعلوا منها قصة غرام، مما جعل عدداً من المحققين في القرن التاسع عشر يرفضون رفضاً كاملاً جميع التفاصيل على اعتبار أنها قصة عاطفية romantic tare.

ثامناً : يستشف مما ورد في التوراة في آخر المكتوب عنها من أن سليمان أعطاهما كل مشتتها الذي طلبت وزاد على ذلك ما سمح به كرمه، وهذا يجعلنا نفهم أن ما قدمت من أجله هو التجارة وأنها أخذت ثمن البضائع التي أحضرتها ؛ أي أنها لم تكن هدية له بدون مقابل، بل إن هناك في التوراة إشارات إلى تجار سبأ وقوافلهم التي كانت تقطع المسافة الطويلة الشاقة بين اليمن والشام محملة بالذهب واللبن، وربما حدث ذلك قبل أيام سليمان أيضاً، وهنا يدل على نشاط السبئيين التجاري^(٢).

تاسعاً : تعتبر ملكة سبأ أول من أدخل دين سليمان إلى اليمن^(٣) بعد عودتها من الرحلة التي زارت فيها سليمان، وهذا يعني أنها قد دخلت في دينه بعد أن رأت حكمته.

٢- الإنجيل

ما جاء في الإنجيل عن هذه الزيارة، نجده فقط في " انجيل متي " الذي يذكرها في الفصل الثاني عشر آية ٤٢ من أقوال المسيح " ملكة الجنوب " التيمن^(٤) " ستقوم في الدين مع

(١) علي سبيل المثال : جاء في نصوص الملك تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م) عن قوائم الجزية الراجعة إلى العام الواحد والأربعين من فترة حكمه، ن بلاد كوش قدمت له ثلاث مائة كيلو جرام من الذهب، وهي كمية هائلة في ذلك الحين

The Gold of Kush in Kush 7 J.Vercoutter 1959 120 : 153 .

(٢) الفصل جواد علي، ج ٢ / ٢٦٢ .

(٣) اليمن الخضراء مهد الحضارة، محمد الأكوع الخوالي، ص ٣٤٩، ط ١ .

(٤) أوراق، يوسف عبد الله ج ٢ - ٥ : ١٢ .

هذا الجيل وتحكم عليه لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان.. وها هذا أعظم من سليمان".

تعليق :

أولاً : تحديد مكان حكم الملكة " بالجنوب " فقد أتت من أقاصي الأرض، ولعله تعبير واضح عن المسافة بين " جنوب الجزيرة " أو دولة سبأ وفلسطين.

ثانيًا : التوراة ونسخة الإنجيل هذه ذكرتا لقب " ملكة " مع عدم ذكر أسمها.

٣ - القرآن الكريم

نجد في سورة النمل (سورة رقم ٢٧) الآيات ٢٠ إلى ٤٤ تفاصيل زيارة ملكة سبأ لسليمان، وهي تعطينا صورة جديدة عن هذه الزيارة وخاصة ما ورد فيها عن الهدد، وعن العرش وكذلك عن زيارتها لقصر سليمان وعن الصرح والكشف عن ساقها :

سورة النمل (رقم ٢٧) الآيات من [٢٠ - ٤٤]:

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَٰذِهِ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ (٢٠) لَا عَذْبَةَ عَذَابٍ شَدِيدًا أَوْ
لَا ذُبْحَنًا أَوْ لَيَأْتِيَنِي بَسُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ
سَبَإٍ بَنِيًا يَفِينُ ﴾ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٣)
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ
وَمَا تَعْلَنُونَ ﴾ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا
عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى
تَشْهَدُونَ ﴾ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (٣٣) قَالَتْ
إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرُوا بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِي اللَّهُ
خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بَجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا
وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ ﴾ (٣٨) قَالَ عِفْرِيدٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ ﴾ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا

عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْنَ أَتَهْتَدِينَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنَ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿

تعليق :

أولاً : لم يرد في القرآن الكريم اسم " حاكمة " سبأ. إنما أشير إليها فقط وظهر اسمها بعد ذلك في كتب التفسير وفي ما كان يتحدث به أمثال عبيد بن شريه ووهب به منبه وعوانة بن الحكم وغيرهم وبخاصة في أخبار اليهود ثم في ما ذكره بعد ذلك بعض المؤرخين اليمنيين وبخاصة نشوان الحميري.

ثانياً : أشير إلى " حاكمة " سبأ في التوراة والإنجيل وهي ملقبة بلقب " ملكة " في حين أن القرآن الكريم أشار إلى أنها تملكهم ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) ولذا سأناقش هذا اللقب عند الحديث عن هذه السيدة، خاصة وأنه جاء على لسانها في القرآن الكريم ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) فكيف لها أن تذكر هذا إذا كانت تحمل لقب ملكة ؟

ثالثاً : جاء في القرآن الكريم إشارة إلى عبادة أهل سبأ ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٣).

رابعاً : أن حاكمة سبأ أم تأت إلى سليمان من تلقاء نفسها ولكن بعد أن أسقط عليها الهدد رسالة سليمان.

خامساً : جاء في الآيتين ٣٠/٢٩ ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وفي تفسير ذلك قول العلماء : لم يكتب أحد بسم الله

(١) آية ٢٣ - النمل .

(٢) آية ٣٤ - النمل .

(٣) آية ٢٤ - النمل .

الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام، وقال ميمون بن مهران : كان رسول الله ﷺ يكتب باسمك اللهم حتي نزلت هذه الآية فكتب ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(١).
سادساً : إن نظام الحكم في دولة سبأ في ذلك الحين كان على ما يبدو قائماً على الشورى^(٢).
سابعاً : لا يوجد في القرآن أكثر من إيمانها بدين سليمان ولا ذكر على الإطلاق لأية قصة غرامية أو زواج بينهما.

ثامناً : بينما نري في التوراة إعجاباً بهدايا حاكمة سبأ وذكراً لتفاصيلها، نجد عكس ذلك في القرآن، بل نجد أن سليمان قد رد في أول الأمر هداياها؛ لأن لديه ما هو أفضل منها بكثير.

تاسعاً : لا ذكر في القرآن لإعجاب سليمان " بحاكمة " سبأ أو اتخاذها زوجة، لكن بعض المفسرين يريدون الربط بين الكشف عن ساقيتها وعمل الصرح من زجاج شفاف وبين رغبته في التأكد مما سمعته بأن كان ينبت في ساقيتها شعر كثيف جعلها أشبه بساقي الماعز.

ثانياً في المصادر العربية

في هذا الجزء سأختار مجموعة من الرواة والمؤرخين العرب الذين اهتموا بتاريخ اليمن القديم منذ بداية ظهور الإسلام، سواء في شمال الجزيرة العربية أو في جنوبها، ومن أوائلهم "عبيد بن شرية الجرهمي" الذي اختلفت المصادر في أصله فقل في البعض منها: إنه من أهل اليمن، وفي البعض الآخر: إنه من الرقة في العراق، ولكن من الأرجح: أنه يماني جرهمي^(٣)، عاش في زمن الجاهلية وفي صدر الإسلام حتي زمن عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ)، ويعتبر أساس مدرسة الشام في التاريخ^(٤)، وكان قد وصل من صنعاء إلى مقر الخليفة معاوية ابن أبي سفيان (٤١-٦٠ هـ) في دمشق، وكان معاوية وابنه يزيد يحبان الاستماع إلى قصصه ورواياته وهي في أغلبها خيالية وأسطورية عن ملوك الفرس وحمير^(٥)، ويعزي إليه الكتاب المسمى " أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها " الذي

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، ٢ / ٣٦٢ .

(٢) اليمن الخضراء، الأكو ع ٣٥٠ .

(٣) المفصل، جواد علي ٣٨/١ .

(٤) التاريخ العربي والمؤرخون، شاعر مصطفى، ١ / ١٢٦، دار العلم للملايين بيروت، ط ٢ ١٩٧٩ .

(5) Ueber die Suedarabische sage A.V.Kremer 43 .

طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند ببلدة حيدرآباد دكن سنة ١٣٤٧هـ^(١)، وهو كتاب ممتع ولكن أغلب ما فيه لا يمكن الركون إليه بل يغلب عليه الوضع، وأشار إلى هذا المؤلف نشوان بن سعيد الحميري في كتابه " خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك المتباعدة " ^(٢).

المؤرخون :

وما هي إلا فترة قصيرة من الزمن حتي أخذ بعض أولئك يكتبون الكتب التي يتناولون فيها أخبار اليمن في عصورها القديمة ومنهم " وهب بن منبه " (المولود سنة ٣٤ والمتوفي سنة ١١٤هـ) ^(٣)، وهو يمانى فارسى الأصل، ويقال عنه: إنه كان يهودياً وأسلم ^(٤)، وإليه ترجع أكثر الإسرائيليات ^(٥) المنتشرة بين المؤلفات العربية، وقد ألف كتاباً عن تاريخ حمير بعنوان "الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم " الذي وصلتنا أجزاء منه في كتاب التيجان في ملوك حمير لا بن هشام ^(٦)، وهو كتاب مليء بالقصص والأساطير والأشعار ^(٧)، حتي أن ما ذكره عن العرب البائدة يعتبر مجرد قصص لا يرقى إلى مستوي أهل الأخبار، وعندما أحس بضعفه في هذا المجال مال إلى الإسرائيليات، ومن المعروف عنه ادعاؤه معرفة قراءة الديرة، ولكنه على ما يظهر لم يكن يعرف حتي حروفها الهجائية ^(٨).

وكتب "عوانة بن الحكم" (توفي سنة ١٤٧ أو ١٥٨هـ) كتاباً مماثلاً، ومن المؤسف أن هذين الكتابين لم يصل أي منهما إلينا كاملاً حتي الآن، بل وصلتنا أجزاء منهما فيما نقله من جاء من بعدهما من المؤرخين أمثال " كتاب التيجان " الذي وضعه أبو محمد عبد الملك بن هشام (المتوفي سنة ٢٠٣ أو ٢١٨هـ) ونقل الكثير عن " وهب بن منبه " وكذلك فعل ابن

(١) الفصل جواد علي، ٨٦/١ .

(٢) كتاب ملوك حمير وأقيل اليمن، تحقيق وتعليق السيد علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي، المطبعة السلفية ١١٧٨هـ .

(٣) التاريخ العربي والمؤرخون، شاكر مصطفى، ١٣٧/١ .

(٤) الفصل، جواد علي، ٨٤/١ .

(٥) الإسرائيليات هي القصص والأساطير المأخوذة عن التوراة وقد جمع وهب هذه القصص وخاصة ما رواه كعب الأحبار، (انظر التاريخ والمؤرخون العرب، عبد العزيز سالم، ٤٦) .

(٦) الفصل، جواد علي، ٨٦/١ .

(٧) التاريخ العربي والمؤرخون، شاكر مصطفى، ١٣٧/١ : ١٣٩ .

(٨) الفصل، جواد علي، ٨٦/١ .

سعيد (المتوفي سنة ١٢٧٤ أو ١٢٨٦م)^(١) في كتابه " كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب " (٢).

ومن الجدير بالذكر أن من بين الذين عنوا بتاريخ ملوك اليمن القدماء نشوان بن سعيد الحميري " (المتوفي عام ٥٧٣ هـ) وهو مؤلف المعجم اللغوي المعروف باسم " شمس العلوم " (٣) وصاحب " القصيدة الحميرية " التي قام بنفسه بشرحها والتعليق عليها فيما بعد وقد اعتمد في كتاباته على ما سبق أن ذكره " عبيد بن شريه " و " الهمداني " في كتابه " الإكليل ". وما من شك في أن الكثير مما رواه " عبيد بن شريه " وما كتبه " وهب بن منبه " محض خيال ومبالغات، بل لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن أكثرها يجب أن يوصف بأنه وهم لا يمت إلى الحقيقة التاريخية بصله، ولكن على الرغم من ذلك فإن بعض ما ذكر يعتبر نواة وربما تحوي شيئاً قليلاً من الصحة ولذا يجب ألا نرفضه كله رفضاً تاماً.

ولكن إذا كان هذا هو رأي العلم في كتابات " عبيد بن شريه " و " وهب بن منبه " ومن نقل عنهما فإن هناك مؤلفاً يمينياً يستحق كل إجلال وتمجيد لأنه مؤلف جاد بالنسبة إلى غيره، واسمه: "أبو محمد بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني الحائك" (٤). ومن المعروف عنه أنه خرج يجوب جزيرة العرب ويشاهد آثارها ويتفقد مناطقها المختلفة، وعلى وجه الخصوص الآثار اليمينية القديمة ونزل مجاوراً بمكة، وعاد بعد فترة إلى اليمن وسكن "صعدة" وحدت أن هجا شعراءها فانقلبوا عليه واتهموه بهجاء الرسول ﷺ وكراهية أهل البيت، فزج به في غياهب السجن في " صعدة " أولاً ثم في صنعاء حيث توفي في سجنها في عام ٣٣٤هـ (٥). وقد ألف "الهمداني" الإكليل " في عشرة مجلدات وكتاب " صفة جزيرة العرب".

(1) Ibn Saïds Geschichte der Vorislamischen araber F.Trummetter tuttger 1928 55.

(٢) المخطوط في مكتبة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية تحت رقم Fol 30r - 43k نشر القسم الأول من الكتاب في هيدلبرج، حققه كروب عام ١٩٧٥.

(٣) شمس العلوم ودواء آلام العرب من الكلوم، وقيل : شمس العلوم وسقاء كلام العرب من الكلوم (المفصل، جواد علي ١/ ١٠٥).

(٤) صفة جزيرة العرب، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، ت. محمد الأكوع، ص ٧، ط ٣ صنعاء ١٩٨٣.

(٥) الإكليل، محمد بن عبي الأكوع الحوالي ١ / ٣٧، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٦٣، يذكر الأكوع أنه لا شك ولد في صنعاء ويرجح أن مولده في ما بين ٢٦٥ - ٢٧٠، وينكر أنه توفي ٣٣٤هـ، بل إنه كان حياً سنة ٣٥٦هـ أو ٣٦٦هـ وينكر وفاته في السجن أو في صنعاء ويرجح أنه قبر في ريدة.

ويعتبر الجزء الثامن من " الإكليل " من أهم الأجزاء فقد ورد فيه وصف القصور والمدافن الحميرية.

ولا شك أن "الهمداني" و"نشوان" كانا يعرفان لغة المسند، وأنه عندما كتب الأول في كتابة الإكليل (خاصة الجزء التاسع)^(١) والثاني في ما ورد من كتابه "شمس العلوم " كانا يرجعان إلى الكتابات القديمة بالخط المسند.

والى جانب هؤلاء المؤرخين هناك مجموعة من الجغرافيين وردت في مؤلفاتهم معلومات تهم دراسي الآثار والحضارة اليمنية القديمة مثل " ابن الفقيه الهمداني " (توفي أواخر القرن الثالث الهجري) الذي كتب " مختصر كتاب البلدان " وكذلك " ابن رسته " (أبو على أحمد بن عمر) (أوائل القرن الرابع الهجري) وله كتاب بعنوان " الأعلام النفسية"^(٢) وأيضاً " البكري " (المتوفي عام ١٠٩٤ م) في كتابة "المعجم"^(٣) وكل هؤلاء نقلوا في مؤلفاتهم الجغرافية الشيء الكثير ممن سبقهم.

وقبل أن نترك هذا الموضوع فقد لا حظنا أن أولئك المؤلفين كانوا يهتمون بذكر العجائب وما سمعوه أو ما قرأوه عنها، ولكن دون تمحيص أو محاولة للتدقيق فيما إذا كان ذلك يتفق مع العقل أو أنه غير متفق معه. ولكن حتي في العصور الوسطى لم يكن كل المتقنين العرب يقبلون هذه الأقوال كما وردت، وخير دليل على هذا ما كتبه "ابن خلدون"^(٤) في هذا الموضوع ونقده لما كتبه المسعودي والطبري والجرجاني وابن الكلبي عن قبائل اليمن التبابعة وعن ملوكهم وعزوهم لبلاد المغرب والروم وسمرقند والصين^(٥).

ثالثاً : " ملكة سبأ " في رأي الرواة والمفسرين

تعددت الروايات في أصل ملكة سبأ، ولكنها اختلفت في بعض تفاصيلها، وأنقل هنا بعض ما ذكره المؤرخ " نشوان بن سعيد الحميري " (ت ٥٧٣ هـ) في شرحه لقصيدته في كتابه المسمى " خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة " التي حققها وعلق عليها كل

(١) بعنوان : في أمثال حمير وحكمها بالسان الحميري وحروف المسند .

(٢) التاريخ والمؤرخون، عبد العزيز سالم، ١٨٧ .

(٣) نشره W Wuestenfeld Goettingen 77 1876

(٤) التاريخ والمؤرخون، عبد العزيز سالم، ٤١ .

(٥) التاريخ والمؤرخون، عبد العزيز سالم، ٤١ . أخطاء المؤرخين العرب في رأي ابن خلدون، ٣٤ .

من السيد على بن إسماعيل المؤيد، وإسماعيل بن أحمد الجرافي (المطبعة السلفية بالقاهرة - جمادي الآخرة عام ١٣٧٨ هـ) ص ٧٤ - ٩٠.

- كان والد " بلقيس " يسمي الملك " الهدهاد بن شرحبيل بن بريل ذي سحر بن شرحبيل بن الحارث بن مالم بن زيد بن سدد بن زرعة وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب ابن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث ابن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر "

- لم يكن للهدهاد ولد ذكر ولم يعقب غير بتتين إحداهما بلقيس وأما من الجن والثانية شمس وأما من العرب، وقد حكمت بلقيس بعد أبيها.

- وكان سبب زواج الهدهاد من الجن أنه خرج مرة للصيد في جماعة من خدمه وخاصته فرأى ذئباً يطارد غزالة، حتي ألجأها إلى مضيق ليس للغزالة عنه مخلص فحمل الهدهاد على الذئب فطرده عن الغزالة وبقي متتبعا للغزالة وسار في أثرها وانقطع عن أصحابه، وبينما هو كذلك رأى مدينة عظيمة فيها الخيل والإبل والزرع والفواكه فوقف متعجباً، وفي تلك اللحظة أقبل عليه رجل من أهل تلك المدينة فسلم عليه ورحب به فلما سأله عن اسم المدينة ومن يسكنها قال له : بأن اسمها " مأرب " وسميت باسم بلد قومه وهي مدينة " عرم " وهم حي من الجن ويسكنون فيها، كما قال هذا الرجل أيضاً أن اسمه " اليلب بن صعب " وأنه ملك هذا الحي من الجن وصاحب أمرهم.

- وأثناء حديث " اليلب بن صعب " مع " الهدهاد " مرت امرأة فائقة الحسن فاقتتن بها الهدهاد، وعندما رأى " اليلب " ذلك قال له : أيها الملك إن كنت هويتها فهي ابنتي وأنا أزوجكما، واتفق الاثنان، ثم سأله ملك الجن إذا كان قد عرفها فلما قال له : إنه لم يرها قبل يومه ذاك، قال له : إنها الغزالة التي خلصها من الذئب، وقال له : إن خير جزاء له علي جميل فعله هو أن يزوجهها له " بشهادة الله عز وجل وشهادة ملائكته " وطلب منه أن يعود في الشهر القادم مع خاصة أهل بيته وملوك قومه ليشهدوا عقد زواجها ويحضرُوا وليمتها

- وانصرف " الهدهاد " على هذا الموعد المحدد، وما لبثت المدينة أن غابت ووجد أصحابه يبحثون عنه قائلين : إنهم بحثوا عنه في كل مكان، فقال لهم : "إني لم أبعد عن هذا المكان، وعاد الهدهاد في الموعد الذي تحدد ومعه خاصة قومه وخدمه إلى المكان نفسه فوجدوا هناك قصرأً بناه له الجن في فلاة من الأرض محفوفة بالنخيل والأعناب وأنواع الزرع

وتخترقها المياه الجارية، فعجبوا من ذلك ونزلوا في القصر علي " فرش لم يروا مثلاً قط، وقربت لهم مراند عليها من طيبات المأكولات وألوانها التي لم يأكلوا قط أطيب منها طعاماً ولا أذكي رائحة " وسقوا من الشراب ما لم يشربوا قط أذ ولا أهضم ولا أمراً ولا أخف منه " فمكثوا معه ثلاثة أيام بلياليها ثم زفت ابنة ملك الجن وكان اسمها " الحروري بين اليلب بن صعب العرمي " إلى " الهدهاد " وأذن " الهدهاد " لبني عمه وخاصة عشيرته بالانصراف إلى مواضعهم وصار ذلك القصر دار مملكته.

- وأقامت " الحروري بنت اليلب " معه زماناً فولدت له " بلقيس " فنشأت أعقل أهل زمانها وكانت ذات رأي وعلم وحلم وتدبير، وكانت ذات المشورة على أبيها، حتى علم ذلك جميع حمير، ولما حضرته الوفاة قال لهم : إنه استخلف عليهم " بلقيس " فاعترض عليه بعضهم لتوليته أمورهم امرأة وبين أهله رجال كثيرون، فرد عليهم : بأنه يوصي بأنه يتولي بعدها " ياسر بن عمر بن يعفر بن عمرو " وهو ابن خاله، وذكرهم بأنها من الجن وفي ذلك منفعة لهم إذا استعانوا بهم ومن يأتي بعدهم قبلوا وصيته وقالوا : سمعنا وأطعنا، ثم مات بعد أن لبث في الحكم مائة سنة فتولت " بلقيس " شؤون مملكته من بعده.

هذه القصة الأسطورية عن أصل " بلقيس " ليست إلا مقدمة تمهد لقصص أغرب من زيارتها لسليمان في " ورسلیم ".

ومثال على ما جاء في كتب التفسير أخترت أمثلة من " الفتوحات الإلهية " ^(١) " الجمل " و"ابن كثير" ^(٢) و"صفوة التفاسير" ^(٣) عن قصة زيارة ملكة سبأ إلى سليمان.

- جاء في تفسير "الجمل": أن اسم الملكة "بلقيس" وأنها بنت "شراحيل من نسل يعرب بن قحطان " وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكاً هي آخرهم، وكان يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف : ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبي أن يتزوج فيهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة يقال لها " ريحانة بنت السكن "، ثم يورد بعد ذلك صورة متقاربة من الروايات الأخرى عن صيد الغزلان، وظهور ملك الجن له، وتزويجه ابنته، وكان يخدم " بلقيس " ستمائة امرأة.

(١) جـ ٣ / ٣٠٧ وما بعدها .

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣/٣٥٩، دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .

(٣) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني جـ ٣، دار القرآن الكريم بيروت، ط ٤، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١ م .

- وذكر " ابن كثير " ^(١) قال الحسن البصري : هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، وقال قتادة : كانت أمها جنية، وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة، وقال زهير بن محمد : هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان، وأمها فارغة الجنية، وقال ابن جريج : بلقيس بنت، ذي سرخ، وأمها بلتعة، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل، وقال الأعمش عن مجاهد : تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ كانت من بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر رجلاً، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل، وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء ^(٢)، وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة اليمن والله أعلم.
- أرادت " بلقيس " أن تمتحن سليمان وذلك بأن ترسل إليه هدايا فإن قبلها كان ممن يطلبون متاع الدنيا، وإذا كان نبياً من عند الله فإنه يرفضها، فعلم سليمان بذلك من الهدهد، فلما اقترب رسلها أمر سليمان الجن أن يضربوا لبناً من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مساحته تسعة فراسخ وأن يفرض فيه لبن الذهب والفضة ففعلوا وأن يقيموا حول الميدان حائطاً من لذهب والفضة ففعلوا. ودعاً سليمان الجن فأتي منهم خلق كثير ثم قعد سليمان في مجلسه على سريرته ووضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وشماله، وأمر الأنس والجن والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما وصل رسل بلقيس هالهم ما رأوا وفزعوا من رؤية الجن والوحوش فطمأنوهم، وأخيراً قدموا لسليمان خطاباً من ملكتهم والهدايا التي معهم.
- ذكر الرواة ورددت أقوالهم كتب التفسير أنها أرسلت إليه بهدايا عظيمة وبعض الأغواز - وسنلاحظ أن أكثرها مأخوذ عن الإسرائيليات.
- أرسلت إليه عدداً من الوصفاء والوصيفات، قال ابن عباس : مائة وصيف ومائة وصيفة. وقال وهب بن منبه: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الجواري لباس الغلمان

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢ م ٣٦٠ .

(٢) المسافة بين صنعاء ومأرب حوالي ١٧٣ كم .

- الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر.
- وجاء في " خلاصة السيرة الجامعة " لنشوان بن سعيد الحميري^(١) توضيح أكثر: يقول تشوان نقلاً عن عبيد بن شربة: فبعثت إليه أربعين رجلاً معهم مائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد لهم ذوائب وقصاص والزي واحد، وختمت على سراويلهم وبعثت بمائة فرس نتجت في يوم واحد ألوانها واحدة، وبعثت بحق فيه من الجوهر والزمرد والدر والياقوت الأحمر والأبيض والأسود ملحم لا يوصل إلى عد كل جنس مما فيه إلا أن يكسر، وبعثت إليه بخرزة غير مثقوبة وقالت: تتقب هذه الخرزة بغير علاج إنس ولا جان ولا بحديدة، وبعثت إليه بخرزة مثقوبة تقباً ملتوياً وسألته أن يدخل فيها خيطاً، وكتبت إلى سليمان بأن يميز الوصفاء والوصائف دون أن يعري أحداً منهم وأن يميز الخيل أيها نتج قبل صاحبه وعما في الحق قبل أن يفتح فدعا بالإنس والجبان ودعا بالوفد وقال: من يميز بين الغلمان والجواري ولا ينتزع ثيابهم؟ فقالوا: لا علم لنا بشيء من ذلك، ومكث أياماً يقلب الأمر فيما سألته من حكمته، فدعا بالغلمان والجواري وأمر بطشت فيه ماء ودعاهم واحداً بعد واحد وقال: اغسلوا أيديكم فكان من غسل من الغلمان حذر الماء من يده حذراً، ومن غسل من الجواري يصيب الماء صعداً فميزهم على ذلك.
- ودعا بالخيول فقال نتجت في يوم واحد، وهذا خال هذا وهذا عم هذا.. الخ، أما الخرزة فقد تطرعت دودة لتقبها، والخرزة الثانية قامت دودة بأخذ خيط في فمها ودخلت في الثقب، وكذلك أخبر عما في الحق وعدد كل نوع، ثم أمر برد كل شيء وعاد به الوفد إلى " بلقيس".
- موضوع طلب إحضار العرش عندما كانت " بلقيس " على مسيرة فرسخ من "بيت المقدس" العفريت الأول كان مسخراً لسليمان، أما الثاني الذي وعد بإحضاره في غمضة عين، أي قبل أن يرتد إليه طرفه فاسمه " آصف بن برخيا".
- جاء في شرح قصيدة نشوان أن " آصف بن برخيا " توضأ وركع ركعتين ثم قال: انظر يا نبي الله وامدد لمرفك حتى ينتهي طرفك، فمد سليمان ^{عليه السلام} طرفه ينظر نحو اليمين (أو اليمن) ودعا " آصف بن برخيا " فانحرف العرش من مكانه الذي فيه ثم قبع بين يدي سليمان.

- وعن تفسير " ابن كثير " ^(١) ومن ههنا يظهر أن سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعده، وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند " بلقيس " وقومها ؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه، هذا وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة.

- بالنسبة للصرح هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك. واختلقوا في السبب الذي دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه، فقيل: إنه عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه، بعد أن ذكر له جمالها وحسنها ولكن في ساقها هلب عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة، فسأه ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا ؟ هكذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره، فلما دخلت وكشفت عن ساقها رأي أحسن الناس ساقاً وأحسنهم قدماً، ولكن رأي على رجلها شعراً لأنها ملكة ليس لها زوج، فأحب أن يذهب ذلك عنها، فقيل له: الموسي، فقالت : لا أستطيع ذلك، وكره سليمان ذلك، وقال لجني : اصنعوا شيئاً غير الموسي يذهب به هذا الشعر، فصنعوا له النورة فارلته بها، فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وانقضي بانقضاء ملك سليمان.

في بعض كتب التفسير قول آخر هو : إن سليمان زوجها لذي بتع ملك همدان، ولكن نشوان ^(٢) يروي رواية أخرى.

- ومن اللطيف أن التعصب لبلقيس ولليمن يظهر بوضوح في روايته فهو يغفل إغفالاً تاماً موضوع شعر ساقها ولا يشير على الإطلاق إلى إعجاب سليمان بها أو زواجه منها، بل يقول بعد مرورها فوق الصرح الممرد : إن سليمان عاتبها على عبادة الشياطين " فأسلمت وحسن إسلامها ". قال: فزعموا (يقصد عبيد بن شربة) أن سليمان قال لها - حين أسلمت وفرغ من أمرها اختاري رجلاً من قومك أزوجك به، قالت : ومثلي - يا بني الله ينكح الرجال، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان لي، قال : نعم، إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تخرجي مما أحل الله لك، فقالت : زوجني -

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٤ .

(٢) خلاصة السيرة الجامعة، لعجائب أخبار الملوك التابعة، نشوان بن سعيد الحميري، ت . السيد علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي ص ٨٥، المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٧٨ هـ .

إن كان ولا بد من ذلك - ذا بتع، قال واسمه " موهب آل " وآل اسم الله عز وتعالى أي "هبة الله " عز وجل، وحمير تقول : ذي بتع بريل، فزوجه إياها وردهما إلى اليمن^(١).
- ومما سبق نلاحظ أن فيما رواه الرواة ونقله عنهم بعض المفسرين تناقضات واختلافات عن أصل " الملكة بلقيس " مما تدل على تخطيط أولئك الرواة وعدم معرفتهم بتاريخ الجزيرة العربية في الفترة السابقة على الإسلام، هذا بالإضافة إلى المبالغات والتصوير الأسطوري فيما يتعلق بزيارتها لسليمان، ففيها الكثير من الخيال والقصص المتأثر بالإسرائيليات. ولو أخذنا أمثلة على ذلك مثل الهدايا والألغاز التي بعثت بها " بلقيس " إلى سليمان، والروايات التي قيلت في هذا الشأن نجد أن معظمها خيالي ولا يتفق مع تفسير الحقائق العلمية، وإذا ما نظرنا إلى الهدايا نظرة موضوعية معتمدين في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم^(٢) نجد أنها ترسل هدايا إلى سليمان وعندما وصلته قال ﴿أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ؟﴾، وعلي ما يبدو أن سليمان عليه السلام لم يهتم بما جاءوا به من هدايا وأمرهم بالعودة بهديتهم.

والمثال التالي هو موضوع الصرح الممرد^(٣)، وخير تفسير لما جاء بالنسبة للصرح هو ما ذكره " ابن كثير " ^(٤) فيقول : إن أصل الصرح في كلام العرب هو القصر، وأن سليمان عليه السلام أخذ قصراً عظيماً منيراً من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما أتاه الله، انتقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم وملك عظيم، واعترفت بظلمها لنفسها بما سلف من كفرها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله واتبعت دين سليمان في عبادته الله وحده.

وفي تفسير " ابن كثير " ^(٥)، في تعليقه على المبالغات التي صاحبت هذا الحديث جاء الآتي: " والأقرب في مثل هذا، السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب، سامحهم الله تعالى فيما نقلناه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب بما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ ".

(١) التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه، ص ١٧٢، ط ١ حيدر آباد دكن ١٣٤٧ هـ (ذكر أنها تزوجت سليمان عليه السلام وولدت له داود ورحبعم وأن داود مات في حياة سليمان .

(٢) الآيات ٣٥ - ٣٧ - النمل .

(٣) آية ٤٤ - النمل .

(٤) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٣/ ٣٦٦ .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٦٦ .

الفصل الثالث

من هي ملكة سبأ ؟

تعارف الدارسون علي تسمية حاكمة سبأ " الملكة بلقيس "، والاسم كما نعلم لم يرد في أي مصدر من المصادر الدينية التي اعتمدنا عليها كمصادر أساسية في هذه الدراسة، كما أنه لم يظهر حتي الآن في أي نقش سبئي قديم أو في أي نقش قديم آخر في اليمن، ما عدا كلمة جاءت في نقش كشفت عنه البعثة الأمريكية علي مقربة من مأرب، وتقرأ حروفها بالعلامات التالية "WBLQS" ^(١)، و اعتُقد في البداية أنها تشير إلى الاسم "بلقيس"، ولكن بعد دراسة أولبريت " للنص وُجد أن ترجمة الكلمة إلي "بلقيس" لا يتناسب مع مضمون النص الكلي ومازال معني الكلمة غير واضح حتي الآن. واكتشفت هذه البعثة مجموعة من النقوش في " وادي الفارة " الذي يبعد عن مأرب حوالي أربعين ميلاً، وتؤرخ بعض هذه النقوش بفترة تقارب منتصف القرن العاشر قبل الميلاد، أي فترة حكم بلقيس ^(٢).

والاسم " بلقيس " ليس له معني في اللغة العربية ؛ ولذا يعتقد أنه ربما أخذ من العبرية التي اشتقته بدورها من الكلمة اليونانية بمعني الخليفة أو العشيق، كما يمكن ترجمته أيضاً " الفتاة الشابة أو الجميلة" ^(٣)، ويعلق الدكتور حسن ظاظا علي الاسم " بلقيس " بأنه لم يكن يقيناً اسم الملكة، ولكن ربما يعبر عن صفة جاءت في الآشورية والعبرية بلفظة " بلجش " بمعني العشيق أو المرأة غير الشرعية، ولعلها صفة ألصقها العبرانيون بحاكمة سبأ للتقليل من شأنها ^(٤).

ويذكر كتاب العرب الكثير من الأساطير والقصص التي يغلب عليها الخيال ويرد اسم بلقيس في أكثرها فهي : " بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ : ^(٥).

(1) Qataban and Sheba W. Phillips 94 .

(2) Phillips .op. cit . 107 . W.

(3) liddel - Scott - Jones Greek - English Lexicon .

(٤) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، محمد بيومي مهران، جـ ٨ / ٧٧١، الكتاب الثاني إسرائيل،

١٩٧٨ .

(٥) التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه، ص ١٦١ .

وللاسف عدة مترادفات مثلاً " بلقيس بنت ايليشرح " أو " بلقمة ابنة اليشرح " (١).
وبجانب هذا الاسم هناك أسماء أخرى مثلاً " يلقة " وقيل: إنها كلمة فارسية معربة
مشتقة من اليلمق وهو القباء المحشو (٢)، وكذلك " بلقمة " وربما إنه مشتق من اسم إله القمر "
المقة " معبود دولة سبأ الأكبر، وهناك من يري أن أصل الاسم هو " بالقياس " أي بالقياس إلى
حكم أبيها عادلة، أو أن أصل الاسم هو " بنت القيس " وتحول بعد ذلك إلى بلقيس (٣). وذكر
الاسم في الأساطير الحبشية إما " ما قدة " ومعناه ليس كذلك أو " اتي - أرب " ومعناه " ملكة
الجنوب " وهي في هذه الحالة ملكة الحبشة.

أما بالنسبة للقب " ملكة " الذي ذكرته التوراة وكذلك نص الإنجيل، وردده بعد ذلك
الرواة والإخباريون فقد استمر هو اللقب المتعارف عليه بين الدارسين حتي الآن، ولكن إذا ما
رجعنا إلى ما جاء في القرآن الكريم نجد قوله تعالى: " إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من
كل شيء ولها عرش عظيم " (٤).

وجاء في تفسير ' ابن كثير ' (٥) ما يأتي :

" قال الحسن البصري : وهي بنت شراحيل ملكة سبأ. وقال قتادة : كانت أمها جنية وكان
مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة. وقال زهير بن محمد : وهي بلقيس بنت
شراحيل بن مالك بن الريان، وأمها فارعة الجنية، وقال ابن جريج : بلقيس بنت ذي سرخ،
وأما بلتعة. وقال ابن حاتم : حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن
عطاء بن السائب عن سجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قيل تحت
كل قيل مائة ألف مقاتل، وقال الأعمش عن مجاهد : تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل
تحت كل قيل مائة ألف مقاتل، وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي
وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ كانت في بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر رجلاً
كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل، وكانت بأرض يقال لها: مأرب على ثلاثة أميال من
صنعاء، وهذا القول هو أقرب، على أنه كثير على مملكة اليمن، والله أعلم.

(١) المفصل، جواد علي ٢/ ٢٦٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ٢/ ٢٦٥ .

(٣) أوراق، يوسف عبد الله، ٢/ ٥١-٥٢

(٤) آية ٢٣ - النمل .

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٣٦٠ .

وقوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني سريراً تجلس عليه عظيماً هائلاً مزخرفاً بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ. قال زهير بن محمد : كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً. وقال ابن إسحاق: كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكان إنما يخدمها النساء ولها ستمائة امرأة تلي الخدمة " ومما سبق نلاحظ أ، الرواة تناقلوا قصة الحاكمة وأضافوا إليها الكثير من الخيال والمبالغة.

وننتقل إلى الآية الكريمة التي جاءت على لسان حاكمة سبأ وهي ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾^(١) وهي آية كريمة تظهر مدى تعقل هذه السيدة ومعرفتها بعنف الملوك في ذلك الزمان الذين إذا استولوا على بلدة خربوها وأذلوا أهلها، فإذا ما كانت هذه السيدة " ملكة " حقاً أكان من المعقول أن تأتي على لسانها هذه الآية الكريمة لتصف بها أخلاق وأعمال الملوك ؟

ويمكن أن نستعين هنا أيضاً بمعلوماتنا التاريخية والآثارية التي نعرفها - حتي الآن - عن ألقاب حكام سبأ، فنجد أن اللقب الذي تلقبوا به في المراحل الأولى من تاريخهم هو لقب " مكرب " وهو غالباً لقب ذو مفهوم ديني بمعنى المقرب أو الوسيط بين الناس والآلهة، ويرجع بعض الدارسين بداية فترة حكم المكريين إلى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد، ويرجعه البعض الآخر إلى بدايات القرن الثامن قبل الميلاد. ويرى البعض منهم أن اللقب استمر استعماله إلى حوالي عام ٦٥٠ ق. م (وهم أصحاب التاريخ المطول) والبعض الآخر إلى حوالي ٤٥٠ ق. م (وهم أصحاب التاريخ المختصر)^(٢)، واتخذ هؤلاء المكريون في بداية الأمر " صرواح " ^(٣) عاصمة لهم، قبل نقل عاصمة دولتهم إلى مأرب ومن أحد نقوش المعبد الكبير بصرواح والمعروف بنقش النص)^(٤) نعرف اسم آخر الحكام الذين تلقبوا بلقب " مكرب " وهو " كرب ايل وتر " وهو في نفس الوقت أول من تلقب بلقب " ملك "، فقد جاء في بداية النقش ما يأتي " هذا ما أمر بتسفيره كرب ايل وتر بن زمر علي " مكرب سبأ عندما صار

(١) آية ٣٤ - النمل .

(٢) دراسات في تاريخ الشرق القديم، أحمد فخري، ص ١٦٣ - ١٦٤. اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين

شرف الدين، ص ٧٣، ط ٢، ١٩٦٤ م .

(٣) بين مأرب وصنعاء ومكانها الآن قرية الخريبة شرق صنعاء .

(٤) تاريخ اليمن القديم، محمد عبد القادر بافقيه، ٦٥ - ٧٨، بيروت، ١٩٧٣ .

ملكاً، وذلك لا لالهة المقه، ولشعبه شعب سبأ " ويرجع بعض الدارسين فترة حكمه إلى ما بين ٦٢٠ - ٦٠٠ ق. م وللبعض الآخر يري أنه حكم في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد^(١)، وهي مما لا شك فيه مرحلة متأخرة عن فترة حكم " حاكمة سبأ " التي عاصرت سليمان حوالي منتصف القرن العاشر قبل الميلاد.

ولذلك فلعله من الأفضل أن نطلق على هذه السيدة لقب " حاكمة سبأ " وليس " ملكة سبأ"، أما عن اسمها فهو غالباً مشتق من اسم معبود الدولة الأكبر " المقه " ومع ذلك فعلياً أن ننتظر بعض الوقت فقد تكشف الحفريات في المستقبل عن الاسم الحقيقي لهذه الحاكمة^(٢).

وإذا ما قيمنا شخصية هذه الحاكمة من المصادر المعروفة حتي الآن نجدها شخصية قوية، ذات رأي حكيم أدارت دولتها بنظام متقدم يقارب نظام الشوري^(٣) يؤيد ذلك ما جاء على لسانها في القرآن الكريم، فبعد وصول رسالة سليمان عليه السلام إليها جمعت كبار رجال الدولة و«قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ»^(٤) وهذا دليل قوي وواضح على أنها جمعت أصحاب الرأي في دولتها وبينت لهم بأنها سوف لا تقضي أمراً دون مشورتهم، فردوا عليها بأنهم أصحاب قوة وكثرة في الرجال والعتاد وأصحاب بأس في الحرب ولكنهم مع ذلك تركوا لها الأمر لاتخاذ ما تراه صالحاً لها ولقومها وهو خير دليل على ما كانت تتمتع به هذه الحاكمة من قوة الشخصية وسداد الرأي في تصريف أمور الدولة، واختارت المسالمة بأن بعثت بهدية إلى سليمان. وهي خطوة تدل على مدي ذكاء هذه الحاكمة، فهي بذلك تود معرفة هذا الرجل، فإذا ما قبل الهدية فهو ليس إلا ملكاً عادياً يهتم بأمور الدنيا، أما إذا رفضها فهو نبي، وهذا ما حدث، بعدها قررت زيارته، ولعل في ذلك مقدمة لحسن اصغائها لنصيحة سيدنا سليمان عندما دعاها إلى عبادة الله - عز وجل - بعد عتابه لها على عبادتها لآلهة من دون الله، فكان ردها «قَالَتْ رَبِّ إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٥)، وبذلك تعتبر هذه الحاكمة أول من أدخل دين سليمان إلى اليمن بعد عودتها من زيارته، ولكن على ما يبدو أن هذه العقيدة لم تعمر طويلاً أو أنها لم تلق قبولاً بين الناس في ذلك الحين، لأننا نعرف

(١) المفصل، جواد علي ٢/ ٢٦٨ .

(٢) اليمن الخضراء الأكوغ، ٣٨٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١٠ .

(٤) آية ٣٣ - النمل .

(٥) آية ٤٤ - النمل .

من الآثار المكتشفة - حتي الآن - العديد من بقايا المعابد التي شيدت للمعبودات المختلفة وخاصة إله القمر " المانه " وتؤرخ هذه البقايا الأثرية بعصور تالية لحكم هذه الحاكمة، ومن المعروف أن اليهودية قد عرفت في بلاد اليمن حوالي القرن الأول قبل الميلاد بصورة أكثر وضوحاً^(١).

(١) دراسات في تاريخ لشرق القديم، أحمد فخري، ص ١٢٩٨ - ١٢٩ .

الفصل الرابع

التبادل التجاري بين سليمان وملكة سبأ

كانت دولة سبأ تحصل على جزء كبير من ثرواتها من تجارة العبور (الترانزيت) على طريق القوافل التجارية البرية. وتذكر كتب التاريخ أن سليمان عليه السلام كان قد أنشأ أسطولاً بحرياً في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وقد رأت ملكة سبأ أنه قد يؤثر تأثيراً ضاراً على نشاط خط اللبان البري المعروف، والواقع تحت سيطرتها ^(١) { شكل ٨ } لذا قامت ملكة سبأ بزيارة سليمان عليه السلام.

وفي التوراة: ^(٢) أن ملكة سبأ: أعطت الملك ١٢٠ وزنة ذهب وأطيباً كثيرة جداً وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ لسليمان. وأعطى الملك سليمان لملكة سبأ كل مشتهاها الذي طلبت عدا ما أعطاها حسب كرم الملك سليمان. فانصرفت وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها.

ويري بعض مفسري أهل الكتاب ^(٣): أن زيارة ملكة سبأ كانت أساساً لأغراض اقتصادية، ذلك أن الأسطول الذي بناه سليمان في البحر الأحمر أصبح منافساً لطريق نقل التجارة عبر اليمن، وأثر سلباً على دخل مملكة سبأ، الأمر الذي حدا بها للقيام بهذه الزيارة. إلا أن القرآن الكريم ^(٤) يعطي الزيارة طابعاً إيمانياً، وهو دخول ملكة سبأ وقومها في الدين اليهودي، وهو ما يتمشي مع وقائع التاريخ من جود جاليات يهودية في اليمن والحبشة وفي يثرب على طريق القوافل من اليمن إلى الشام.

وتوحي الأطلال والآثار المنتشرة والتي تضم بقايا مآرب الواقعة على الضفة اليسرى، لوادي ذنة على ضخامة مدينة مآرب القديمة، والتي أقيمت على مشارف الصحراء لتتحكم في طريق اللبان القديم، والذي كان يمتد من حضرموت حتي الشام ومصر، مروراً بمدينة شبوة، ومأرب، ووادي الجوف، ومن نجران حيث يتفرع إلى فرعين: ^(٥) يتجه أحدهما إلى قرية الفاو في وادي الدواسر، ومنه إلى اليمامة وهجر في منطقة الخليج العربي وجنوب حوض الرافدين.

(١) رحلة في أرض سبأ، د. مصطفى محمود سليمان ص ١٥٦، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ م.

(٢) ملوك أول ١٠: ١ - ١٣.

(٣) تفسير الكتاب المقدس، جامسيون وفاوست ص ٤٥٦.

(٤) قصص الأنبياء والتاريخ، د/ رشدي البدرائي ٢٣٧/٥، ٢٣٨.

(٥) رحلة في أرض سبأ، د/ مصطفى محمود سليمان ص ١٥٣.

أما الفرع الآخر من طريق اللبان فيمتد من نجران نحو الشمال ماراً ببشر (المدينة المنورة) ثم شمال الحجاز ومنه إلى البتراء (في وادي الأردن حالياً)، ثم يتفرع إلى فرعين: يتجه أحدهما إلى ميناء غزة ومصر. والآخر إلى دمشق والساحل الفينيقي { شكل ٨ }.

وكان يحيط بمأرب سور عرضه متر تقريباً، له عدد من الأبواب (من أربعة إلى ثمانية). وأقيمت على هذا السور بعض الأبراج الحصينة للدفاع عن المدينة، وقد تهدم هذا السور والأبراج أيضاً. وتقع مدينة مأرب القديمة على تل وسط سهل فسيح. وهناك من يعتقد أن التل الذي تقع عليه مدينة مأرب هو مكان قصر سلحين، أحد أشهر قصور اليمن القديمة، والذي يذكره الهمداني كثيراً في كتاب الإكليل، ويقول عنه: (إنه قصر بلقيس، وأن الأحباش هم الذين هدموه في أثناء احتلالهم لليمن (٥٢٥ - ٥٧٦ م). وربما احتوى هذا التل في جوفه على كنوز تاريخية هامة تكون جزءاً من تاريخ اليمن وتراث الإنسانية^(١).

وقد مارس السبئيين الزراعة والتجارة، فكانت قوافلهم التجارية تصل إلى بلاد الشام، وذلك في حوالي سنة ٩٢٢ ق.م، على ما يستنبط من التوراة.^(٢)

وقد وصفت أرض "شبا" في التوراة بأنها كانت تصدر اللبان^(٣)، وكانت ذات تجارة، وأن تجارها كانوا يتاجرون مع العبرانيين: "تجار شبا ورعمة هم تجارك، بأفخر أنواع الطيب، وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك. حران وكنة وعدم تجار شبا وأشور وكلمد تجارك"^(٤).

واشتهرت قوافلها التجارية التي كانت ترد محملة بالأشياء النفيسة^(٥)، وعرفت بثروتها وبوجود الذهب فيها^(٦). وقد قيل لذهبيها: "ذهب شبا"^(٧).

ويتبين من المواضيع التي ورد فيها ذكر السبئيين في التوراة أن معارف العبرانيين عنهم قد حصلوا عليها من اتصالهم التجاري بهم، وهي محصورة في هذه الناحية فقط، فلا نجد في التوراة عن السبئيين غير هذه الأمور.

(١) الإكليل، لأبي محمد الحسن بن أحمد يعقوب، الهمداني ج ٨، تحقيق نبيه أمين فارس، دار العودة - بيروت.

(٢) الملوك الأول، الإصحاح التاسع، الآية ١١.

(٣) أرميا: لإصحاح السادس، الآية ٢٠.

(٤) حزقيال الإصحاح السابع والعشرون، الآية ٢٢-وما بعدها. الإصحاح الثامن والثلاثون، الآية ١٣.

(٥) أيوب: الإصحاح السادس الآية ١٩.

(6) Hastings, P.842.

(٧) المزمور الثاني، والسبعون، الآية ١٥.

وقصة زيارة ملكة سبأ لسليمان، المدونة في التوراة، هي تعبير عن علم العبرانيين بالسبئيين، وعن الصلات التجارية التي كانت بينهم وبين شعب سبأ^(١) وذهب بعض العلماء إلى أن الغرض من هذه الزيارة لم يكن مجرد البحث عن الحكمة وامتحان سليمان، وإنما كان لسبب آخر على جانب كبير من الأهمية بالقياس إلى الطرفين، هو توفيق العلاقات التجارية وتسهيل التعامل التجاري بينهما^(٢).

ونستطيع أن نقول أن قصة سبأ مع نبي الله سليمان - عليه وعلى نبينا السلام - إنما هي ترجمة وتعبير عن الصلات التاريخية القديمة الاقتصادية والسياسية بينهما من جهة، وبين ملكة سبأ وبين الحبشة من جهة أخرى، وعن أثر السبئيين في الأحباش من جهة، وبين هذا الفريق والعبرانيين من جهة أخرى. وقد أدهشت هذه الزيارة العبرانيين لما شاهدوه من ثراء الملكة وثروتها، حتي أدخلوها في التوراة للإشادة لعظمة سليمان ﷺ وما بلغه من مكانة وثناء وسلطان لقد أدهشت هذه الملكة السبئية سليمان حين جاءت مع قافلة كبيرة تحمل هدايا وألطافاً من أثمن المواد الثمينة بالقياس إلى ذلك العهد، وإذا كانت هذه الزيارة قد تمت من العربية الجنوبية حقاً، فلا بد أنها تكون قد قطعت مسافة طويلة حتي بلغت مقر سيدنا سليمان ﷺ في حوالي سنة ٥٩٠ ق.م.^(٣)

وإذا أخذنا بحديث التوراة عن تجار " شبا " " سبأ "، وعن قوافل السبئيين التي كانت تأتي بالذهب وباللبان وبأفخر أنواع الطيب إلى فلسطين، وذلك في أيام سليمان ﷺ وقبل أيامه أيضاً، وجب رجوع زمان هذه القوافل إذن إلى الألف الثانية قبل الميلاد ؛ وذلك لأن زيارة الملكة لسليمان ﷺ كانت في حوالي سنة ٩٥٠ ق.م.^(٤)، ومعني هذا أن السبئيين كانوا إذ ذاك من الشعوب العربية الجنوبية النشيطة تجارياً في ذلك العهد، وأنهم كانوا أصحاب تجارة وقوافل وأموال لا يبالون ببعد الشقة وطول المسافة، فوصلوا بتجارهم في ذلك الزمان إلى بلاد الشام^(٥).

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ٢/٢٦٢ .

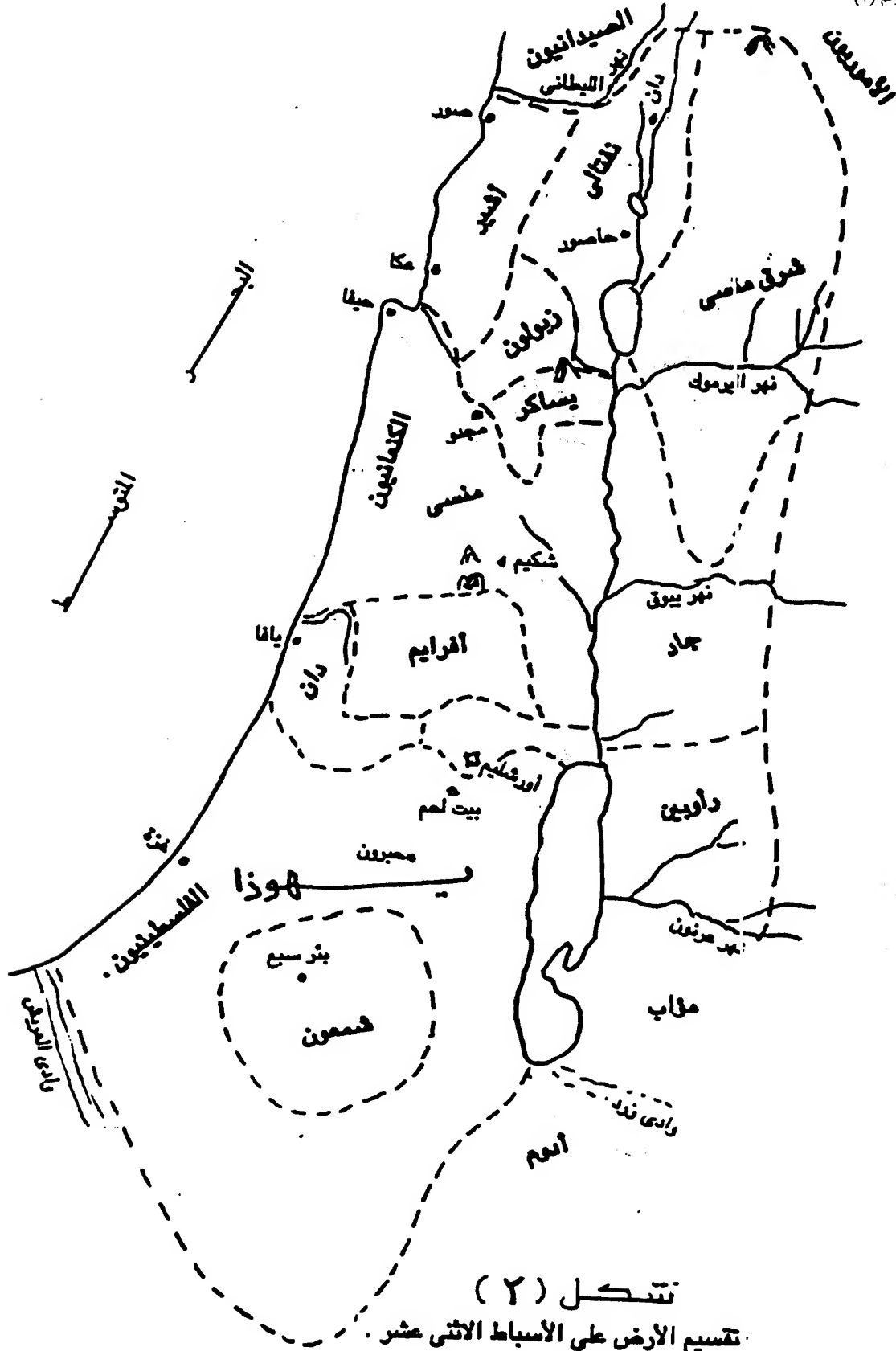
(2) Hastings , P.843 .

(3) Hastings , P.868

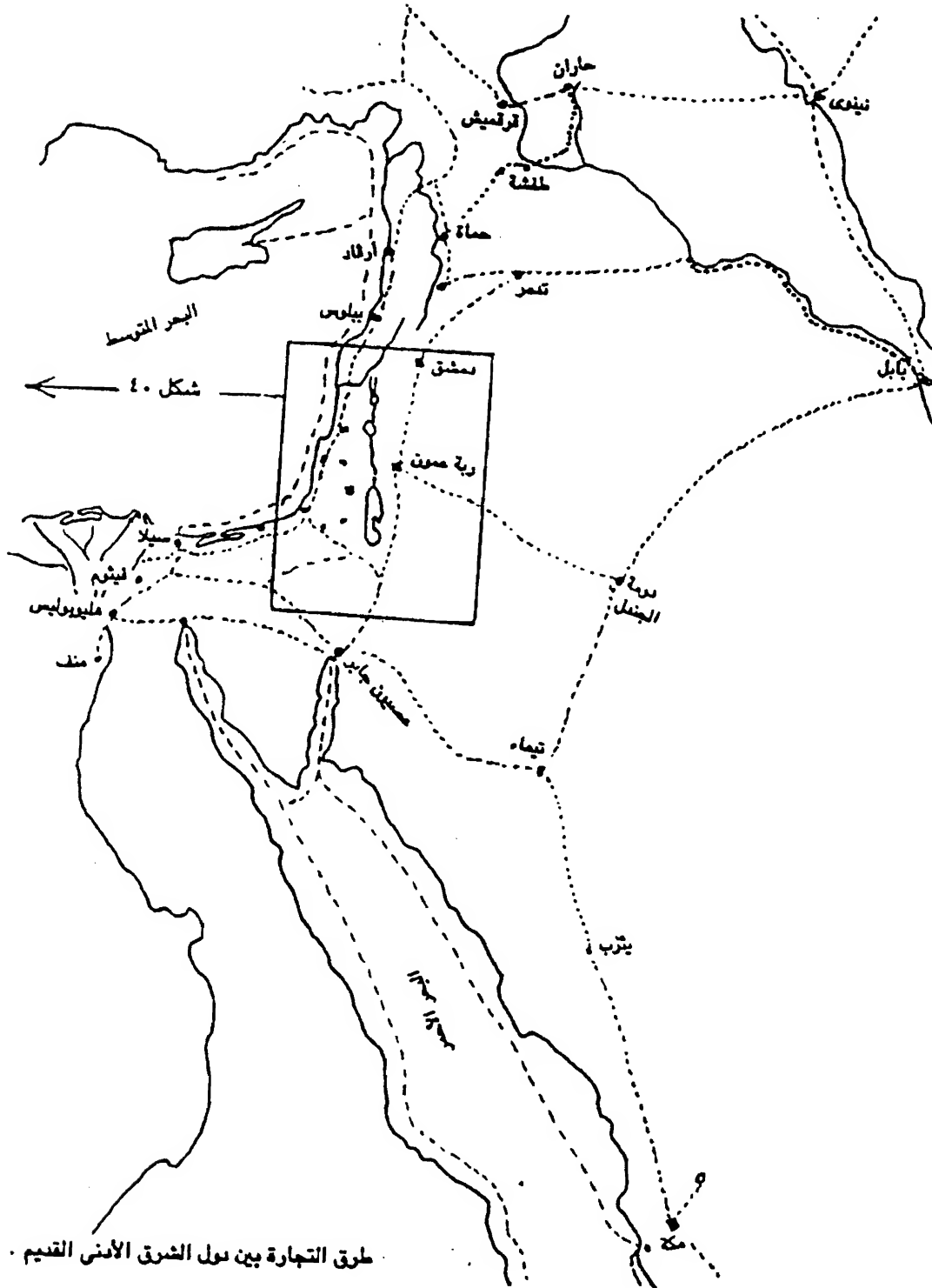
(4) Discoveries , P.35 .

(٥) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ٢/٢٦٤ .

شكل رقم (٢)

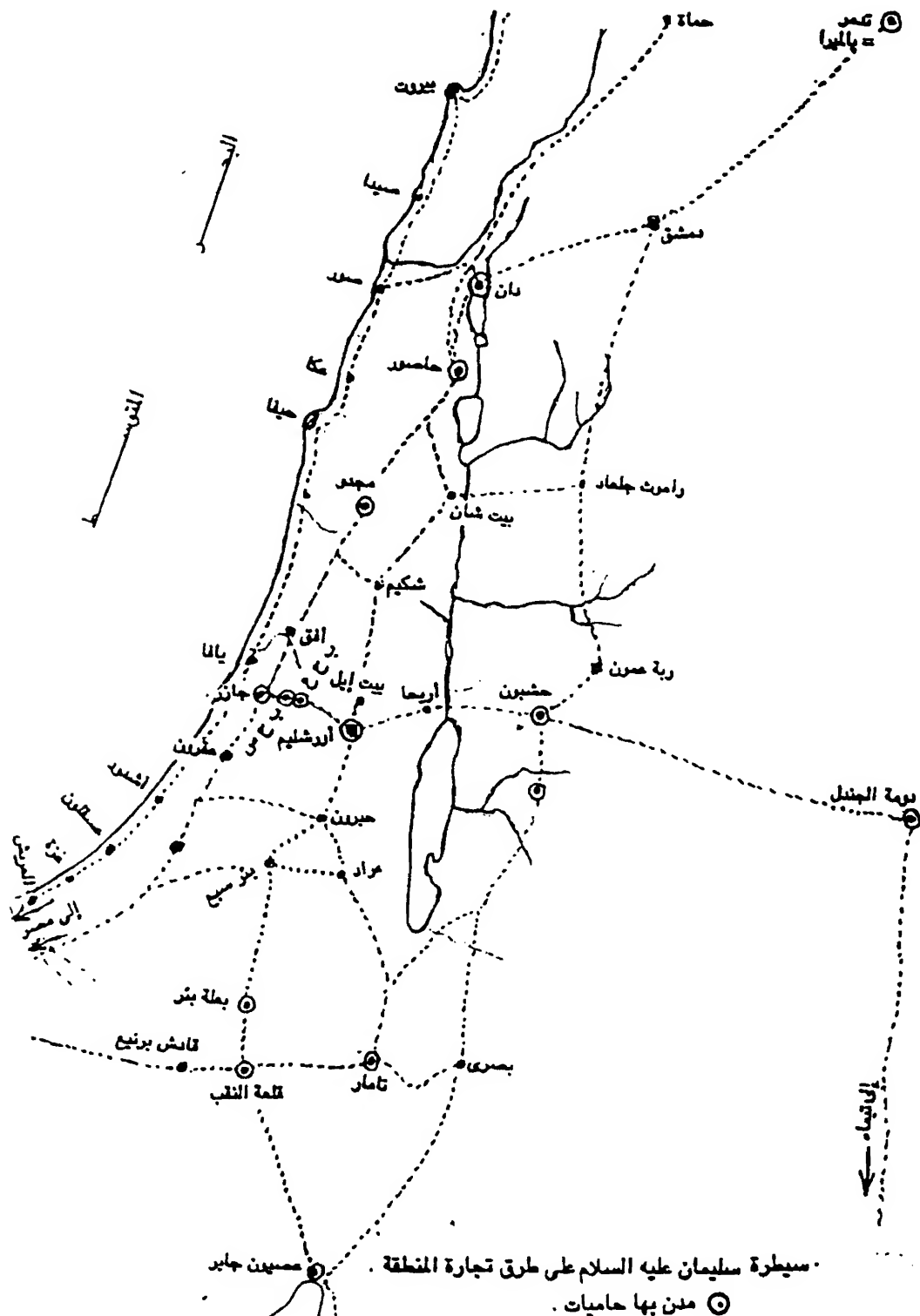


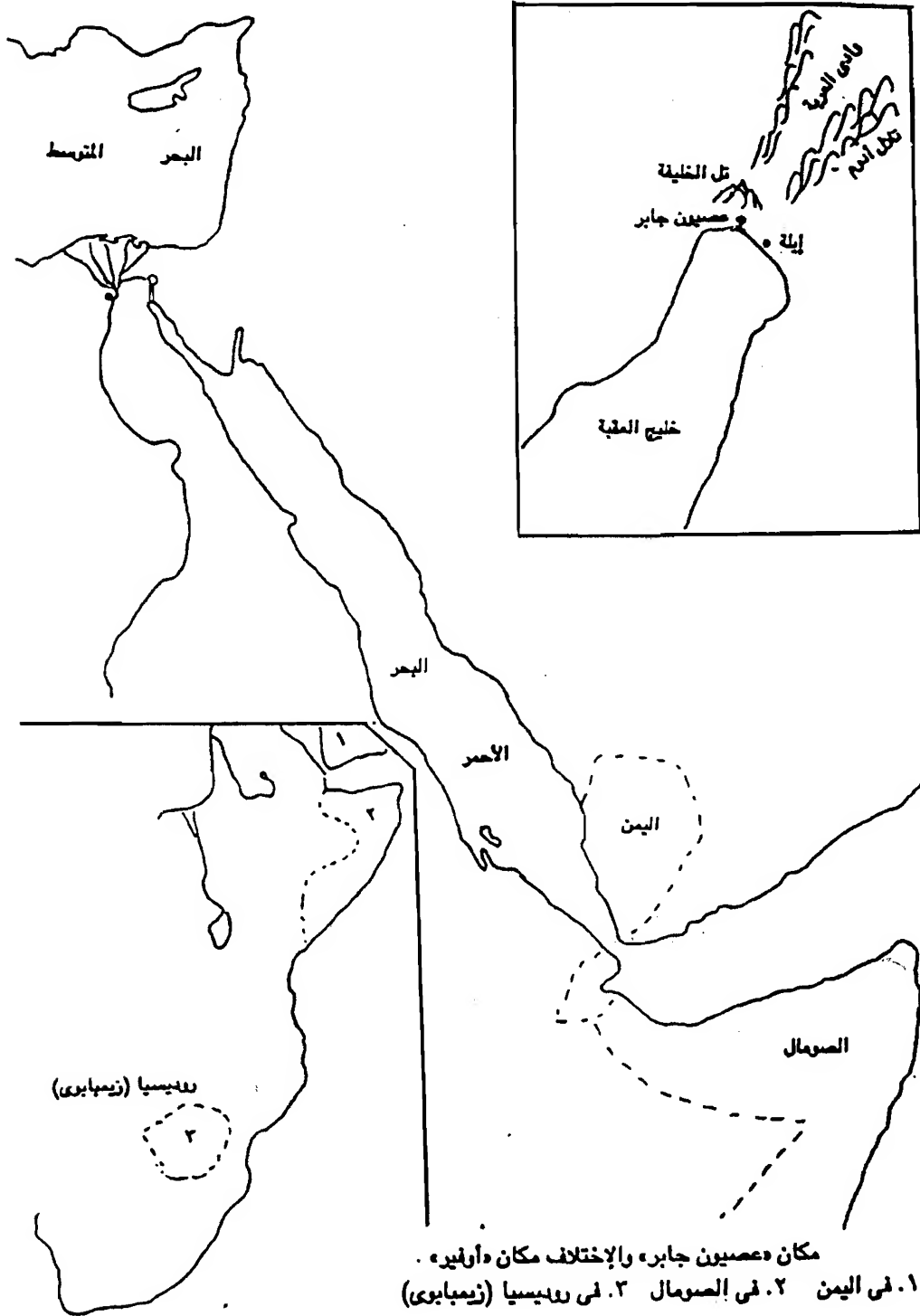
شكل رقم (٤)

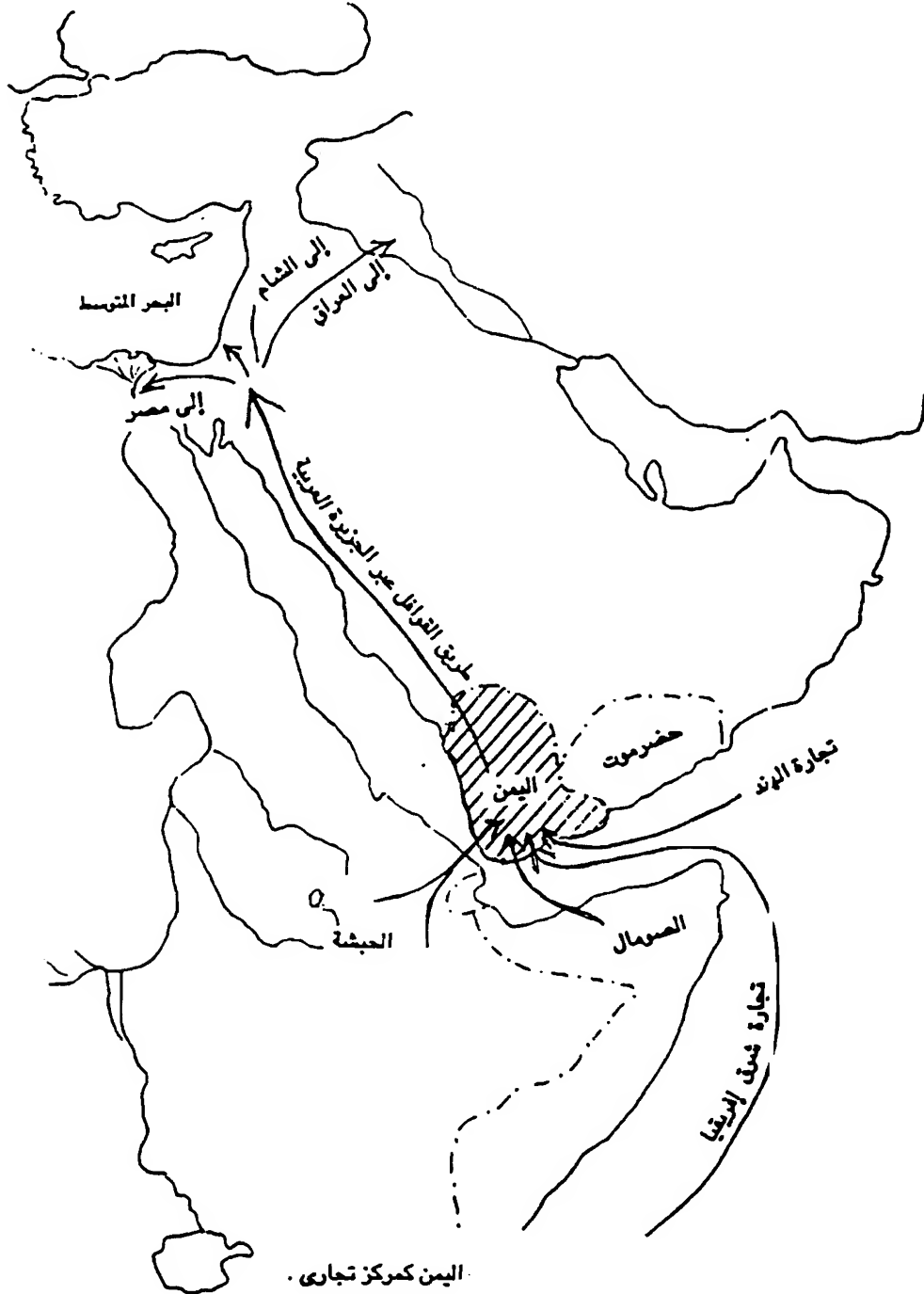


شكل ٤

شکل رقم (۵)









الخاتمة

وبعد ... فقد بذلنا غاية جهدنا المتواضع، وسعينا في بيان الحق من مصادره، ومحاولة منا لمعالجة موضوع "الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان-عليه وعلى نبينا السلام"، وحسبي أنني بذلت قصارى جهدي، وهو جهد المقل، وقدمت غاية وسعي وهو وسع من لا حول له ولا قوة واجتهدت أن أصل به إلى الصورة التي تليق به، فإن أصبت فذلك ما أردت، والله الحمد والمنة، ولعلمائنا ومشايخنا الفضل والعرفان بالجميل، ونحمد الله أن هدانا إلى ما فعلت. وإن كانت الأخرى، فما إياها قصدت ولا إلى إياها سعيت، وحسبي أنني من جملة البشر فاستغفر الله لذنبي وأسأله من فضله أن يعفو عن زلاتي، وأن يقل عثراتي، ويهدي على طريق الدعوة خطواتي، وحسبي أيضاً أنني ما قصرت. وأقول كما قال نبي الله شبيب - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام - ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾^(١).

وأذكر هنا ما كتبه أستاذ البلاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني^(٢) إلى العماد الفاضل الكاتب الأصبهاني^(٣) معترفاً عن كلام استدركه عليه : أنه وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك أم لا ؟ وها أنا أخبرك به، وذلك أنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك

(١) بعض من الآية ٨٨ - هود .

(٢) هو : أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي الجعد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد محمد بن الحسن بن الحسين ابن أحمد بن المفرج بن أحمد اللخمي، العسقلاني المولد، المصري الدار، المعروف بالقاضي الفاضل، الملقب بحجر الدين، كان وزيراً للسلطان الملك الناصر صلاح الدين، وله رسائل عديدة وملح ونوادر كثيرة، وله نظم أيضاً، ولد في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بعسقلان، ومات في ليلة الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة . (وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان، المتوفي سنة ٦٨١ هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ٢ / ٣٣٣، ٣٣٧، مكتبة النهضة العربية د . ت) .

(٣) هو : العماد الكاتب الوزير العلامة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني، ويعرف بابن أخي العزيز، ولد سنة ٥١٩ هـ بأصبهان، وتفقه ببغداد في مذهب الشافعي علي ابن الرزاز، وهو أديب وكاتب وشاعر وبياني ومؤرخ وفقيه، اتصل بالوزير عون الدين بن هبيرة ، فولاه نظر البصرة ثم واسط، ومات بدمشق في ١٠ رمضان ٥٩٧ هـ، ودفن بمقابر الصوفية . ومن مؤلفاته : خريدة القصر وجريدة أهل العصر، الفتح القيسي في الفتح القدسي، البرق الشامخ في التاريخ (انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي ٣٣٣/٤، ٣٣٢، معجم الأدباء، لياقوت الحموي ٤١٩/٥ - ٤٣٠، الأعلام، للزركلي ٢٧/٧، ٢٦، معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ٢٠٤، ٢٠٥/١١) .

هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر^(١) وأتذكر ذلك ما روي عن ابن عبد البر في جامعه: " ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ^(٢) .

وأخيراً أضرع إلى الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(٣).

والله ولي التوفيق

(١) إتخاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين، للزبيدي، ج ٣/١، البابي الحلبي د . ت .
(٢) نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين، وصححه عنه ابن عبد الهادي في إرشاد السالك ٢٢٧، وقد رواه ابن عبد البر في الجامع ٩١/٢، وابن حزم في الأحكام ١٤٥/٦، ١٧٩ من قول الحكم بن عتيبة ومجاهد، وأورده تقي الدين السكي في الفتاوي ١٤٨/١ من قول ابن عباس متعجباً من حسنه ثم قال: وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منهما مالك ﷺ واشتهرت عنه . قال الألباني : ثم أخذها عنهم الإمام أحمد، فقد قال أبو داود في مسائل الإمام أحمد ص ٢٧٦ : سمعت أحمد يقول : ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي ﷺ (انظر : جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ٣٦٨، ٤٦٣ المطبعة المنيرية ٩١/٢، الأحكام في أصول الأحكام، لابن حزم ٣٨٤ - ٤٥٦ مطبعة السعادة ١٣٤٥ هـ الفتاوي، لتقي الدين السكي ٦٨٣ - ٧٥٦، صفة صلاة النبي - صلي الله عليه وسلم - من التكبير إلى التسليم، كأنك تراها، لمحمد ناصر الدين الألباني ص ٦٢، ط ١١، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م المكتب الإسلامي بيروت، دمشق، إرشاد السالك، لابن عبد الهادي يوسف ٨٤٠ - ٩٠٩، مخطوط، فقه حنبلي، مسائل الإمام أحمد، لأبي داود ٢٠٢ - ٢٧٥ مطبعة المنار ١٣٥٣ هـ .
(٣) آية ٢٨٦ - البقرة .

فهرست المراجع العربية

- (١) إبراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٤.
- (٢) ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٠.
- (٣) أبو سعدة، رؤوف، من إعجاز القرآن الكريم، ج ٢. ط. دار الهلال.
- (٤) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط. دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- (٥) بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، بيروت، ١٩٧٣.
- (٦) البدراوي، رشدي، قصص الأنبياء والتاريخ، ج ٥، ط. يناير ٢٠٠١ م.
- (٧) برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر دمشق، ١٩٨٤.
- (٨) الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، الفتوحات الإلهية، الجزء الثالث، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه القاهرة (بدون تاريخ).
- (٩) الحميري، نشوان بن سعيد، خلاصة السيرة الجامعة، لعجائب أخبار الملوك التابعة، تحقيق وتعليق السيد علي بن إسماعيل المؤيد و إسماعيل بن أحمد الجرافي، المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٧٨ هـ.
- (١٠) الحوالي، محمد بن علي بن الحسين الأكوخ، اليمن الخضراء، مهد الحضارة الطبعة الأولى، ١٩٧١.
- (١١) سالم، أحمد موسى، قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح دار الجيل بيروت، ١٩٧٨.
- (١٢) سالم، السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.
- (١٣) شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، الطبعة الثانية، ١٩٦٤.
- (١٤) صالح، عبد العزيز، محاضرات في تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (بدون تاريخ)
- (١٥) صالح، عبد العزيز، " المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة " مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (١٤) - الكويت ١٩٨٥.

- (١٦) الصابوني، محمد علي، صفوة التفسير الطبعة الرابعة، الجزء الثالث دار القرآن الكريم بيروت، ١٩٨١.
- (١٧) عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن و آثاره، بحوث ومقالات، جزءان وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية العربية اليمنية، ١٩٨٥.
- (١٨) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٦، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٩.
- (١٩) فخري، أحمد، اليمن، مستخرج من كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية المنعقد في مدينة فاس في المدة من ٨ - ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٩م، القاهرة ١٩٦١م.
- (٢٠) فخري، أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.
- (٢١) كيللر، وارنر، الكتاب المقدس كتاريخ.
- (٢٢) مصطفى، شاكرا، التاريخ العربي والمؤرخون، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٧٩.
- (٢٣) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الجزء الثامن، إسرائيل، الكتاب الثاني، التاريخ ١٩٧٨.
- (٢٤) نور الدين، عبد الحليم، مقدمة في الآثار اليمنية، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٨٥.
- (٢٥) الهمداني، لسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، الجزء الأول، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ١٩٦٣.
- (٢٦) الهمداني، لسان اليمن أبي محمد الحسين بن أحمد بن يعقوب، الإكليل الجزء الثامن، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة الكتاب العربي، دمشق ١٩٧٩.
- (٢٧) الهمداني، لسان اليمن أبي محمد الحسين بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، الجزء الثامن، تتقي نبيه أمين فارس، دار العودة بيروت.
- (٢٨) الهمداني، لسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الثالثة، صنعاء، ١٩٨٣.

فهرست المراجع الأجنبية

- (1) Budge. W., The Queen of Sheba and her son Menylek. London, 1992.
- (2) Eissfeldt , O., The Hebrew Kingdom , in The Cambridge Ancient History. Vol. II , Chap , xxxiv Cambridge , 1965.
- (3) Grohmann , A. Suedarabian als Wirtschaftsgebiet I, Wien 1922.
- (4) Grohmann , A., Kulturgeschichte des alten Orients , Arabien , Muenchen , Muenchen , 1963.
- (5) Littmann , E , The Legend of the Queen of Sheba in the tradition of Axum , Lyden , 1904.
- (6) Philips , W. Qataban and Sheba , London , 1955.1